

الدكتور نور الدين شعباني

محاضرات في

تاريخ ممالك السودان الغربي

دار الجزائر

الدكتور نورالدين شعباني

أستاذ التاريخ الافريقي

محاضرات في

تاريخ ممالك السودان الغربي

دار الجزائر

مقدمة

ع

ُرِفَت المناطق الواقعة جنوب الصحراء الكبرى، و الممتدة من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر شرقاً في المصادر العربية ببلاد السودان، وسُمِّي الجزء الغربي منها في المصادر العربية بالسودان الغربي، و يعد الجزء الممتد من من ثنZية نهر النيجر الشرقية حتى المحيط الأطلسي غرباً، ومن الصحراء الكبرى شمالاً وحتى إقليم الغابات المطيرة جنوباً، من أهم مناطق السودان الغربي و اكثرها شهرة بالنسبة للمصادر العربية .

فلقد لفت هذا الجزء اهتمام المسلمين منذ وقت مبكر؛ وذلك لما يحويه من عناصر جذب متعددة من أهمها وجود مناطق مهمة فيه تحوي كميات هائلة من الذهب، إضافة إلى وجود ممالك كبيرة يتحتم تتبع أخبارها، فانكبّ عدد من المؤلفين المسلمين على دراسة أهم مظاهرها الدينية والاقتصادية والثقافية والتاريخية والسياسية، و خاصة منذ القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) الى غاية القرن التاسع للهجرة /15م حيث ظهرت كتابات عربية بالغة الاهمية حول ممالك السودان الغربي تناولتها امهات كتب التاريخ مثل تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار لابن بطوطة، وك تاب العبر لابن خلدون و مسالكالابصار في ممالك المصار لابن فضل الله العمري، وغيرها، لكن الدراسات الجادة الخاصة بهذه الممالك في العصور الحديثة فقد انفرد بها الاوربيين سواء من خلال الرحالة و الجغرافيين أو التقارير الامنية التي قام بها المستكشفون و الجواسيس خلال فترة الاستعمار الاوربي الحديث للقارة السمراء.

و بقي الاهتمام العربي بهذه الممالك الراقية ضعيفا، و خلت المناهج التعليمية في جميع اطوارها من أي مواضيع تخص هذا المجال، و هو ما جعلني خلال فترة تحضير رسالة الماجستير اكتشف هذا الميدان بالصدفة من خلال مجموعة من مؤلفات مؤرخين انجليز امثال سبنسر تريمنغهام و ادوارد بوفيل و باسيل دافيدسون و غيرهم ، مما حرك في نفسي رغبة جامحة في خوض غمار تاريخ ممالك السودان

الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، فكلل جهدي بانجاز رسالة ماجستير بعنوان" العلاقات الحضارية بين ممالك السودان و دول المغرب الاسلامي و آثارها الحضارية بين القرنين الخامس و التاسع للهجرة/11و15م" ، ثم واصلت العمل في نفس الخط في مرحلة تحضير الدكتوراه التي قمت خلالها بانجاز دراسة بعنوان" دور عائلة كيتا في مملكة مالي الاسلامية بين القرنين الخامس و التاسع للهجرة/11و15م"، و بعد ذلك وجدت نفسي مسؤولا من الناحية الاخلاقية عى مواصلة البحث في ميدان الممالك الافريقية السودان من خلال فتح تخصص ماستر في التاريخ تحت عنوان دراسات افريقية بجامعة خميس مليانة، حيث عكفت على تدريس تاريخ ممالك السودان الغربي و الاوسط، لعدة سنوات .

و امام النقص الكبير للمادة العلمية فيما يخص هذا المجال قررت ان اطبع محاضراتي الخاصة بممالك السودان الغربي و الاوسط حتى يستفيد منها الطلبة وتدعيم المكتبة الجزائرية بمرجع عله يكون لبنة لاعمال أخرى باذن الله.

المحور الاول: السودان الغربي الارض و السكان

إذا كان هيرودوت قد أطلق على النيل المصري صفة واهب الحضارة المصرية القديمة بقوله ((مصر هي هبة النيل))، نظرا للدور الحيوي الذي لعبه هذا النهر في قيام أعرق وأرقى حضارة عرفها العالم القديم. فإن نفس الوصف يمكن أن نطلقه على نهري النيجر والسنغال في قيام حضارات وممالك السودان الغربي، فليس صدفة إذن إذا كانت المدن الأساسية للإمبراطوريات الكبرى الأولى في إفريقيا الغربية وجدت أولا في السهول المحاذية لنهري النيجر والسنغال.

ذلك أنه بين هذين النهرين توفرت ظروفا خاصة مساعدة على الزراعة والرعي، وهناك أيضا تطورت الحضارات الأولى للسودان الغربي[1]، فحوض نهري السنغال والنيجر و حتى غمبيا في الجنوب منهما كانوا مهدا لقيام الممالك الكبرى في السودان الغربي، كما هو الشأن مع أقدم إمبراطورية شاهدتها إفريقيا الغربية التي نشأت خلال القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد، والتي امتدت على طول نهر السنغال بين غالام والمحيط الأطلسي إلى أدرار الموريتانيةو استمرت الى غاية الحملة لاستعمارية الاوربية خلال القرن 13للهجرة/19م، فالسودان الغربي إذا تعد بحق مهدا لأعرق الإمبراطوريات الإفريقية، كما تعد مسرحا لكل الأحداث الجديرة بالاهتمام بالنسبة لتاريخ السودان الغربي ابتداء من القرن الخامس للهجرة/11م، الذي يعد قرن التحوّلات الكبرى بالنسبة للمنطقة كلها. لذلك يجدر بنا أن نتعرف على هذه المنطقة من النواحي الطبيعية والبشرية، إذ يبدو أن دور هذه النواحي مهم جدا في الاضطلاع بتلك الخصائص الحضارية المذكورة.

(**1**) Niane djibril temsir, le soudan occidental au temps des grands empires au 11ème et 16ème siècle. Présence africaine, (Paris, 1975, p28)

أولا:الخصائص الطبيعية للسودان الغربي:

1.تحديد منطقة السودان الغربي:

نطلق اسم السودان الغربي على المناطق التي تشكل الأجزاء العليا لحوضي السنغال والنيجر، وهي تمتد من الشمال فتحدها الصحراء الإفريقية الكبرى ومنطقة باخوي (Bakhoy) وباولي (Baoulé)[1] إلى منطقة الغابات الاستواية الممطرة جنوبا ومن الضفاف الشرقية لنهر النيجر شرقا الى المحيط الاطلسي غربا، كما يحدها من الشرق مجرى نهر النيجر، ومن الجنوب يحدها أحد روافده وهو نهر تنكيسو[2].

أما من الناحية الجيولوجية فإن هذه المنطقة مكوّنة من تتابع الهضاب العليا التي يبدأ ارتفاعها تدريجيا من نهري النيجر والسنغال، وتقطعها تلال شديدة الانحدار، ومحاطة بسلاسل جبلية قاحلة تتخلّلها قمم متفرقة، لعل أهمها قمة جبل "خوماخانا (khomakhana) في كتلة الماندينغ. أما التربة فهي متشابهة في هذه المناطق كلها، فهي تتشكل من مزيج من الحجر الرملي، وأكسيد الحديد، والغضار، وحجر الصوان، حيث أن الحجر الرملي يتشكل بصفة خاصة في المرتفعات، بينما يشكل الغضار التربة الأساسية للأحواض، وهو عامل يساهم في الحفاظ على البقايا النباتية والحيوانية والدبال، مما يسمح بزراعة الذرة، البطاطس، الدّخن، الفاصوليا والأرز. لكن هذه التربة الغضارية غير نفوذة وتسبب في نفس الوقت في حدوث فيضانات سريعة للأنهار التي تتضمنها المنطقة.

([1]) باخوي Bakhoy أو Bakoy هو نهر من أنهار إفريقيا الغربية، يقطع غينيا ومالي ويتصل مع نهر بافينغBafing ليكونا نهر السنغال في منطقة بافولابي Bafoulabé في محافظة كايس Kayes غرب جمهورية مالي، ويسمى أيضا بالنهر الأبيض، بينما يسمى بافينغ بالنهر الأسود).أما باولي فهو نهر من الأنهارالمتفرعة عن السنغال، الذي يعد هو الآخر أحد فروع السنغال، وينسب إليه شعب باولي الذي يقطن مناطق باولي، ياموسوكرو، ديامبوكرو،بيومي، وغيرها الموجودة في وسط كوت ديفوار.

([2]) ويعد نهر تنكيسو أحد أنهار جمهورية غينيا، وأحد روافد نهر النيجر من الجهة اليسرى، ينبع من مرتفعات فوتا جالون، ويجري باتجاه الشمال الشرقي بطول 270كم، ويلتحق بنهر النيجر في منطقة سيغيري (Siguiri).

Dr Colomb, Les populations du haut Niger, leur moeurs et leur histoire. Imprimerie Pitrat Ainé (Lyon,France,p1

2.الأنهار:

الملاحظ أن نهري النيجر والسنغال يشكلان أهم نهرين تسري بهما الحياة كلها في تلك المنطقة، فهما يشكلان إذن الشريان الحقيقي للمنطقة التي ارتبط اسمها باسم النهرين، وهو ما يجعل كل دراسة حول المنطقة تبدو ناقصة دون التطرق إلى هاذين النهرين العظيمين.

أ.نهر النيجر :

يعد نهر النيجر أهم مظهر طبيعي يميز المنطقة، ويعد أحد انهار العالم الكبرى[1]. أما من حيث تسميته فإن المؤرخ الفرنسي" موريس دولافوس" يذكر بأنه من بين الفرضيات المطروحة حول أصل التسمية يوجد الفرضية التي تقول بأن كلمة نيجر اشتقت من الكلمة البربرية (غر) أو(غير) التي تعني بالبربرية الماء المتحرك، ويقصد بها النهر أو البحر، وهو نفس الاسم الذي كان يطلق على النهر الذي يمر بمدينة "جاو"، حيث يطلق عليه اسم (يغرن) أو (يغريون)، والتي حرّفها التجار الذين يجهلون البربرية على شكل (نيغر) التي تحولت إلى (نيجر)[2].

وحسب مونغو بارك فإن الجزء الأعلى من هذه السلسلة والذي يوجد بين درجتي 5 ° و 9 ° غربا منه، ينبع نهر غامبيا الذي يتخذ مجرى (غربي وشمالي غربي)، ومنه أيضا ينبع نهر السنغال ويجري باتجاه الغرب، بالإضافة أيضا إلى نهر جوليبا (أو النيجر) الذي ينبع منه ويسير في اتجاه الشرق والشمال الشرق. حيث أن الانحدار العام لهذه الجبال يتجه نحو الشمال، وبالتالي المياه تتبع هذا الاتجاه وخاصة نهر النيجر الذي يسير على مسافة أكثر من مائة ميل[3] باتجاه الشمال قبل أن ينحرف نحو الشرق.

([1]) فهو يحتل المرتبة التاسعة عالميا من حيث الطول الذي يبلغ 4200كم.كما يعد أيضا ثالث أكبر نهر إفريقي بعد كل من النيل ونهر الكونغو. عن الموقع الالكتروني:

www.universalis.fr/encyclopedie/N°1 30091/niger-fleuve.htm

([2])Delafosse(M) :Op.Cit, tome1, p5

(1) وهو ما يعادل 160.9 كم

وعموما فإن هذا النهر بعدما ينطلق من منبعه يتجه نحو الشرق، ثم إلى الشمال الشرقي إلى أن يصب في نهر تنكيسو من الجهة اليسرى بعدما يشكل حلقة كبيرة، ويتجه بعدها نحو خليج غينيا الذي يصب فيه، وفي طريقه إلى مصبه يلتقي بعدة روافد(1)، ويقطع نهر النيجر عدة دول هي جمهوريات كل من غينيا، مالي، النيجر ونيجيريا، وعند مساره نحو الشمال الشرقي باتجاه مرتفعات الماندينغ يتفرع منه باتجاه المنحدر الشرقي نهر جوليبا(2) الذي يعد موطن المالنكي وهو الموطن الذي ظهرت فيه مملكة مالي أو الماندي.. ويعد نهر النيجر نهرا صالحا للملاحة وهو ما جعل منه القلب النابض للتجارة لنهرية ، التي كانت تمثل أهم عوامل ازدهار الممالك التي قامت على ضفافه.

ب. نهر السنغال:

وهو النهر الذي يتمتع بأكثر شهرة عند الجغرافيين والرحالة العرب، بحيث يبدو أنهم عندما كانوا يتكلمون عن النيل السوداني انطلاقا من بلاد التكرور فإنهم كانوا يقصدون نهر السنغال دون أن يذكروه باسمه الذي نعرفه به اليوم، وحتى عندما كانوا يصفون أجزاء من نهر النيجر كانوا يعتقدون بأنه هو نفس النهر.

إلا أن نهري النيجر والسنغال يتخذان اتجاهين متعاكسين، فبينما يتجه النيجر نحو الشرق فان السنغال يتجه نحو الغرب(3). أما بالنسبة للمسار الذي يسلكه نهر السنغال، فيمكن أن نقول بأنه شبيه بمسار نهر النيجر لكن بالاتجاه المعاكس له، فالسنغال يبدأ مساره نحو الشمال الغربي، حيث يمر فوق هضاب الماندينغ أين يشكل خطا متوازيا مع نهر"غامبيا" الواقع بالجنوب منه، وخلال مساره على هذه الهضبة تتخلله عدة روافد تشترك معه في نفس الاتجاه، أي من الشرق إلى الشمال الغربي.

أما بخصوص تسميته بنهر السنغال فقد أطلقها عليه الأوربيون على اعتبار أن العرب كانوا يدعونه بالنيل السوداني، أو النيل الكبير، أما السودانيين أنفسهم فقد كانوا يدعونه بأسماء روافده،

---

(1) Dr : Colomb ,Op.Cit, p3

(2) جوليبا أو "ديارب" أو"دياليبا" Djoliba – Diareb – Dialiba ، وتعني في لغة الماندينغ "النهر الكبير": ديالي: نهر، و با: كبير.

(3) Niane Temsir djibril , Op.Cit, p20

فكانت كل منطقة تسميه باسم الرافد الذي يمر بأرضها.وعندما اكتشف البرتغاليون نهر السنغال لأول مرة في عام 1450م أطلقوا عليه اسم سينا (Sena) أو ساناغا (Sanaga) نسبة إلى اسم أمير أسود أقام معه البرتغاليون علاقات معينة، ومنذ ذلك الوقت أصبح يسمى "سينغا" ثم تحول إلى "سنغال".

وعموما فإن نهر السنغال لا تقتصر أهميته على كونه مصدر هام للماء والحياة، وما يوفره للمنطقة من سبل الرب والزراعة والرعي، أو عامل ازدهار التجارة عن طريق الملاحة النهرية فقط، وإنما تتعدى أهميته ذلك إذا ما علمنا بأنه يعد خزانا للمعدن الصفر بما تحتويه أراضيه من ذهب ذاع صيته في أطراف الدنيا، وشغل ملوك المشرق والمغرب خلال العصور الوسطى. كما كان هذا النهر قوام تلك الممالك والإمبراطوريات التي قامت على ضفافه على مر العصور، وخاصة في أرض ونقارة التي تحيط به روافد السنغال من كل جهة إلى درجة أن المصادر العربية وصفتها بالجزيرة(1).

فهذه الجزيرة النهرية التي قدر الإدريسي طولها بـ 300 ميل، والتي وصفها "ببلاد التبر المشهورة بالطيب والكثرة"(2)، كانت كلما فاض نهر السنغال خلال فصل الصيف وخطاها، ما إن ينحصر الماء مرة أخرى حتى يتدفق الناس إليها للبحث عن الذهب الذي يقطفونه كما يقطف الجزر ويبيعونه لكل دول المغرب ويضربون منه الدنانير الذهبية(3). كما يضم هذا النهر أيضا أكبر مناجم الذهب في السودان الغربي كله، وهي مناجم بامبوك و"غالام" و"بوري"، والتي ترددت حولها الكثير من الحكايات والأساطير(4).

---

(1) أنظر الإدريسي،المصدر السابق، ص39 . ابن الوردي،خريدة العجائب:ص42 . ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني)، كتاب البلدان، طبع في ليدن بمطبعة بريل،1309هـ ، ص87 .

(2) المصدر السابق، ص39.

(3)الإدريسي، نفس المصدر:ص39 ،ابن الوردي: المصدر السابق،ص42 . ابن الفقيه،المصدر السابق،ص87.

(4)حول هذه الأساطير أنظر: Cissé (Youssouf Tata) : WAKAMISSOKO. La grande geste du Mali, de origines à la fondation de l’empire Editions : Karthala,(Paris2007, p239.

3. المناخ:

ينقسم الإطار المناخي لمنطقة السودان الغربي إلى قسمين، يفصلهما نهر السنغال ورافده كاراكورو الذي يعد كما ذكرنا الحد الفاصل بين بلاد السودان وموريتانيا. حيث يصبح لدينا في شمال السنغال وشمال غرب كاراكورو مناخا صحراويا أو ما يعرف بالمناخ الساحلي الذي يشمل الأراضي السودانية المتواجدة في الشواطئ الجنوبية للصحراء، أو ما يعرف تاريخيا بمنطقة موريتانيا. وإلى جنوب وشرق النهرين يوجد مناخا سودانيا محضا[1].

فبالنسبة للجزء الجنوبي أو السوداني، فإن المناخ السائد يتميز بأمطار كثيرة وغزيرة، ويدوم فصلها أكبر مدة، وهو ما يجعل مجاري مياه أنهارها أكثر انتظاما، وأكثر منسوبا، كما أن الرطوبة تكون مرتفعة حتى وإن قلت الأمطار في بعض الفصول، بينما الحرارة تكون مستقرة ومتشابهة بين سنة وأخرى. أما المدى الحراري اليومي والضغط الجوي فهما ضعيفان، كما أن أعاصير هذا الجزء فهي كثيرة وقوية، منها ما هو محمَّل بالأمطار ومنها ما هو جاف وتتخلله الزوابع الرملية لكنها تبقى نادرة[2]. بينما في الجزء الشمالي أو الساحلي فيتميز المناخ بقصر مدة فصل الأمطار، وكمية الأمطار المتساقطة قليلة بحيث تصل إلى 0,25 مم سنويا، لهذا فالهواء يكون جافا وقليل الرطوبة، والحرارة تكون مرتفعة والمدى الحراري اليومي والسنوي يكونان كبيران، إذ تتراوح درجة الحرارة بين 10و 46 درجة، وفي شهر ديسمبر تهب رياح موسمية حارة وجافة تعرف "بالهرمطان" والتي تعمل بدورها على رفع درجة الحرارة أيضا[3].

وعموما فان منطقة السودان الغربي تتعاقب عليها ثلاثة فصول أساسية في السنة، وهي نفسها في المنطقتين الساحلية والجنوبية السودانية، لكن تختلف فقط من حيث فترات وتواريخ بداية ونهاية كل فصل. ولكنها على العموم فهي موزعة عل الشكل التالي: من شهر نوفمبر إلى شهر فبراير يكون

---

(1) Gouvernement général de l’Afrique occidentale française : Le soudan. Société d’éditions géographiques maritimes et coloniales, (Paris, 1931, p14)

(2) Delafosse (M) ,OP.Cit, p90 - Dr Colomb : Op.Cit, p2.

(3) Gouvernement général de l’Afrique occidentale française , Op.Cit, p14. Delafosse , Op.Cit, p90

الطقس بارد وجاف، ويدوم فصل البرودة هذا حوالي ثلاثة أشهر في المنطقة السودانية، وتهب خلاله تلك الرياح الجافة القادمة من الصحراء المعروفة بالهرمطان، والتي تتسبب في اصفرار وتساقط أوراق الأشجار، وتسجل انخفاضات كبيرة لدرجة الحرارة في الليل، لذلك تسمى تلك الليالي بالليالي الباردة، أما ابتداء من شهر مارس إلى غاية شهر ماي فيكون الجو حار وجاف جدا، حيث نادرا ما تنخفض فيه درجة الحرارة عن 18°، فمدينة "بماكو" مثلا تصل فيها درجة الحرارة إلى 45 درجة، كما تسجل مدن سودانية أخرى مثل "كايس" و "سيغو" درجات أعلى، وترتفع درجة الحرارة أكثر كلما توجهنا من الجنوب نحو الشمال حتى إذا ما بلغنا المنطقة الصحراوية في الشمال فإنها تصبح غير محتملة. ومن حين لآخر تهب رياح ساخنة بقوة كبيرة متبوعة بزوابع رملية حمراء(1). ربما هذه الرياح هي نفسها التي وصفها لنا الزهري، والتي سماها برياح السويداء، والتي تهب في الصحراء فتجفف الماء في الزقاق وتهلك جميع الحيوانات، والتي تقل كلما اتجهنا غربا واقتربنا من المحيط الأطلسي، أو توجهنا شرقا واقتربنا من نهر النيجر (2).

وابتداء من شهر جوان يبدأ فصل الأمطار، أو الشتاء(3) الذي يشهد هدوء طفيفا في تساقط المطار خلال شهر أوت. بينما في المناطق الساحلية الشمالية يبدأ هذا الفصل متأخرا وينتهي قبل شهر أكتوبر، حيث يبدأ بإعصارات ممطرة تجلبها الرياح الشرقية، وابتداء من شهر جويلية تعرف المنطقة أمطارا لفترات أطول مصحوبة عادة بزوابع عنيفة. أما في شهري سبتمبر وأكتوبر فان الأمطار تكون متقطعة لكنها تكون أكثر قوة وغزارة، كما يشهد هذا الفصل رطوبة خانقة جدا (4).

---

(1) Gouvernement général de l'Afrique occidentale : Op.Cit, p14 - Delafosse (M) , Op Cit, p9

(2) الزهري(أبو بكر)، كتاب الجغرافية، حققه: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، دون تاريخ، ص 126.

(3) يختلف" الدكتور كولومب" مع دولافوس حول بداية هذا الفصل، حيث يذهب الأول إلى أن هذا الفصل يبدأ في شهر ماي، بينما يتفقان حول تاريخ نهايته التي يحددانها بشهر أكتوبر.

(4)Delafosse (M) ,Op.Cit, p93

أنظر أيضا: مارمول كرفجال،إفريقيا.ترجمة: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد علون. مكتبة المعارف، 1404هـ/1984م، الجزء الأول، ص 53.

ولقد أثّر هذا المناخ المتنوع تأثيرا مباشرا على الحياة النباتية في منطقة الأعلى السنغال والنيجر، حيث ترتب عنه غطاء نباتيا متنوعا حسب الفصول، ففي فصل البرد والجفاف والحرارة تكون الأرض جرداء والحشائش تحرقها الزوابع والحرارة، وتختفي فيها أوراق الأشجار وتصفر، وتتناثر على الأرض وتتصلب القشرة الأرضية ويبدو المنظر موحشا. وبمجرد حلول فصل الأمطار حتى تنتعش الحياة من جديد، وتكتسي الأشجار حلة خضراء، وتنبت الحشائش ويخضرّ السطح مبديا لونا زاهيا، وتتفتح الأزهار، وتنتعش النباتات الاستوائية الكثيفة(1).

لهذا يمكننا أن نقول بأن مناخ منطقة السودان الغربي وفي مجمله يعد من أجود المناخات في منطقة السودان الغربي كله، كما أن سطحها حسب شهادة حسن الوزان، يعد من أجمل ما يمكن أن تراه أعين رحالة زار معظم بقاع العالم مثله، حيث يقول بأن أجمل بلاد السودان هي تلك التي تمتد على طول نهر النيجر(2). وبالتالي فليس صدفة إذا كانت مدن الممالك والإمبراطوريات الأولى في السودان الغربي قد ظهرت أولا على سهول ضفاف نهري النيجر والسنغال وذلك بفضل الظروف الطبيعية الخاصة التي وفرها هذان النهران، والتي ساعدت على قيام الحضارات الإفريقية الأولى. كما شكّل هذان النهران عاملا استقطاب السكان من كل الأجناس، سواء كانوا بربرا أوموريين دفعتهم حرارة الصحراء وجفافها إلى الهجرة نحو هذين النهرين، أو كانوا سكان إفريقيا الاستوائية والغابات الذين دفعتهم الرطوبة الخانقة والأمراض الفتاكة، والوحوش الضارية إلى التقرب من ضفاف هذان النهران، وهو ما جعل منطقة النيجر الأعلى والسنغال تعج بخليط من الأجناس والشعوب.

ثانيا: الخصائص البشرية:

إن البحث في موضوع العنصر البشري لمنطقة السودان الغربي يحتاج إلى كثير من التمحيص والجهد، وهذا نظرا للتنوع البشري للمنطقة بفعل الموجات المتعاقبة من الهجرات التي عرفتها المنطقة

(1)Dr Colomb ,Op.Cit, p3

(2) حسن الوزان، المصدر السابق، ص38 .

منذ أقدم العصور، فاختلط العنصر المحلي من الأهالي مع المهاجرين خاصة في المناطق العليا من نهر النيجر والسنغال التي تعد مناطق جاذبة للسكان بفضل ثرواتها الثمينة من ذهب وعبيد وعاج وغيرها التي جلبت التجار من كل حدب وصوب وأغرت الطامعين والمغامرين. بالإضافة إلى العامل التاريخي الهام والمتمثل في قيام أعرق الممالك والإمبراطوريات الإفريقية على ضفاف أنهارها. فاستقطبت عناصر من السودان الشرقي والأوسط واستوطنها التجار من المشرق والمغرب، وكوّنوا جاليات مختلفة أصبحت مع مرور الزمن عناصر سودانية اندمجت مع الأهالي.

لقد حاول الباحثون الأوربيون الذين اهتموا بشعوب المنطقة أن يتبعوا في دراساتهم منهجا يعتمد على التصنيف العرقي. فعندما قام الطبيب الفرنسي " كولومب" بدراسته لشعوب النيجر الأعلى صنفهم إلى ثلاثة أنواع رئيسية، حيث اتبع في تصنيفه الصفات الفزيولوجية كلون البشرة والشعر وشكل الوجه وغيرها. فقسّمهم إلى شعب الماندينغ ذوي البشرة السوداء، والشعر المجعد والمتصوف، والأنف المفتوح، والشفاه الغليظة، وطول القامة. ثم الفلاتة وهم ذوو البشرة الأقل سوادا وتميل إلى الحمرة، وشعر أملس، وقسمات الوجه الرقيقة. أما النوع الثالث فهم المور أو المغاربة ذوي البشرة البيضاء المائلة إلى السمرة، والقامة المتوسطة[1]. أما مواطنه "موريس دولافوس" فقد اتبع تصنيفا يعتمد على الانتماء العرقي لكل مجموعة، حيث قسّم المنطقة إلى أربعين قسما ينتمون إلى عنصرين أساسيين هما:العنصر الأسود والعنصر الأبيض، واللذان يتفرعان بدورهما إلى سبع عائلات عرقية، منها عائلتين من أصل أبيض وهما: الحاميون و الساميون، وخمس عائلات من أرومة سوداء وهم، التكرور، أو (التوكولور)، السنغاي، المندي، السونوفو، وسكان الفولتا[2].

وإذا رجعنا إلى المصادر العربية وحتى السودانية، فنجدها تعتمد على نفس هذا التصنيف، حيث نجد كلمات مثل"بيضان" و "سودان" و"تكرور" متكررة وشائعة في مؤلفات الجغرافيين والرحالة

---

(1)Dr Colomb , Op.Cit, p10

(2) Delafosse (M) ,Op.Cit, p113

العرب، وحتى المؤرخين السودانيين أمثال عبد الرحمن السعدي، ومحمود كعت، وأحمد بابا التنبكتي، وغيرهم. لهذا رأينا أن نعتمد في هذه الدراسة على هذا التصنيف.

1.العنصر الأبيض:

وتسميهم المصادر العربية البيضان، وهم ينحدرون من فرعين أساسيين هما: الساميون، وهم أبنا سام بن نوح عليه السلام من عرب وسوريين، والعبرانيين الذين هاجروا إلى المنطقة عبر مراحل متفرقة من التاريخ. أما الحاميون فيمثلهم البربر[1] والموريون وهم من أبناء حام بن نوح عليه السلام. وعموما فان العنصر الأبيض على اختلاف نسبه إلى سام أو حام إبني نوح، فهم يشكلون عدة مجموعات وهي:

أ. الصنهاجيون:

وهم شعب صنهاجة اللثام من البربر الذين يسكنون القفار وراء الرمال الصحراوية بالجنوب، حيث أُبعدوا إلى تلك الأماكن منذ عصور ما قبل الفتح الإسلامي، وسكنوا بلاد البربر وأرض السودان، وقد اتخذوا اللثام شعارا تميزوا به عن غيرهم من الأمم، حيث تكاثروا وتعددت قبائلهم. وينقسمون إلى عدة فروع، ولعل أشهرها فرعان كبيران هما لمتونه وجدالة اللتان كانتا في صراع بينهما حول رياسة صنهاجة الصحراء[2]. وهناك من يطلق عليهم أيضا اسم الطوارق أو التوارق، نسبة إلى إحدى قبائل صنهاجة وهي"تاركة"، حيث حرّفها المشارقة إلى طوارق[3]، ويسمون هم أنفسهم بإيماجورن" أو "إيماشورن" مفرده "ايمشار" [4].

([1]) يذكر صاحب مفاخر البربر بأنه (لما تفرق أولاد نوح عليه السلام، أقبل البربر نحو المغرب الأقصى فقطنوه وتناسلوا، واتصلوا مع الأقباط من أرض مصر إلى المغرب الأقصى وجاوروا السودان مما يلي الصحراء). مجهول، مفاخر البربر.تحقيق: عبد القادر بوباية، دار أبي الرقراق للطباعة والنشر، الرباط، 2005، طبعة أولى، ص 195.

([2]) ابن خلدون (عبد الرحمان)، كتاب العبر. تحقيق: خليل شحاتة ، مراجعة: سهيل زكار. دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ/2000م، المجلد السادس، ص 241.

([3]) حسن الوزان،المصدر السابق، ص 150(الهامش).

([4]) Gouvernement général de l’Afrique Française ,Op.Cit, p1.8

وقد تشكل الطوارق الذين ينتمون إلى منطقة السنغال الأعلى والنيجر عبر عدة موجات كبيرة من الهجرة البربرية، وأضيف إليهم خليط من الفولاتة والسنغاي. وكانت أهم هذه الهجرات خاصة بقبائل لمطة، هوارة، مسوفة، سمغارة أو (كيل تادمكة)، جدالة، لمتونة، وأولميدن[1]. وقد لعب الصنهاجيون دورا كبيرا في حوض السنغال الأعلى والنيجر من خلال حركة المرابطين التي سيأتي ذكرها لاحقا.

ب. الفلاتة:

ويعرفون أيضا بـ"الفولاني"،كما نجدهم في أحيان أخرى باسم "الفولوب"، وهم شعوب سامية جاءت من المشرق، لكننا نجد أن هناك اختلاف حول الأصل الذي ينتسبون إليه، فبينما ينسبهم غيرهم إلى الشعوب السورية والعبرية مع اختلاط مع بعض العناصر السودانية[2]، نجد الفلاتة ينسبون أنفسهم إلى العنصر العربي من القرشيين، حيث يذهب مؤرخوهم إلى أنهم ينحدرون من قبيلتي جهينة وتميم العربيتين اللتين هاجرتا من الجزيرة العربية في أول الأمر إلى الهند عقب فتنة بختنصر[3] ثم عادتا مرة أخرى إلى الجزيرة العربية بعد انتهاء الفتنة حاملتين معهما الأبقار والأغنام، لكن نظرا لقلة المراعي

([1]) Delafosse (M) ,Op.Cit, p 194

([2]) Delafosse (M) ,Op.Cit,p114

([3]) بختنصر بن نبولاصر هو أشهر ملوك الدولة البابلية العظام، حكم بين (605 و 563 ق م) قام بغزو بني إسرائيل بعدما دعا عليهم نبيهم "أرميا" الذي عصوه وانفضوا من حوله، وانتشرت فيهم المعاصي والمنكرات واستحلوا المحرمات، فسلط الله عليهم فتنة هذا الملك الجبار الذي غزا بلاد الشام وأرض العبرانيين، ودمر مملكة يهوذا، و خرب القدس، وسبى الكثيرين من بني إسرائيل في حملتين، فتفرقوا في الأرض.

حول هذا الموضوع انظر:ابن كثير(عماد الدين أبي الفدا إسماعيل) ،البداية والنهاية.مراجعة و تعليق :محمد تامر، شريف محمد، محمد عبد العظيم، محمد سعيد محمد.دار البيان العربي، القاهرة، مصر، 2006م، الجزء الأول، ص391 و ما يليها.

في شبه الجزيرة العربية واصلت القبيلتان هجرتهما إلى إفريقيا حيث تتوفر المراعي. فسلكتا الطريق المؤدي إلى أرض ليبيا، ومنها إلى إفريقيا الغربية إلى أن وصلتا إلى أودغست بأرض غانة(1).

وهناك نظريات أخرى تقول بأن الفلاتيين ظهروا نتيجة احتكاك الزنوج والحاميين بشعوب بيضاء منذ زمن بعيد، ومنها ما تنسبهم إلى الفرس النازحين من آسيا، ومنها ما تذهب إلى أنهم يهود (2).

ومهما يكن فإن الفلاتة هم قوم شبه بيض سنحتهم عربية، يحترفون رعي الأبقار، يعيشون في السودان الغربي منذ آلاف السنين، ويتمتعون بسرعة فائقة على الانصهار في المجتمعات التي يعيشون فيها (3) وينتشرون في إفريقيا الغربية ضمن أربع مجموعات أساسية هي:فلاتة منطقة مسينا، فلاتة منطقة غورما، فلاتة الساحل، وفلاتة فولتا(4).

2.العنصر الأسود:

وتسميهم المصادر العربية بالسودان، وإليهم تنسب بلاد السودان، كما يعرفون أيضا باسم الزنوج. ويمثلون الأغلبية الساحقة لسكان منطقة السنغال الأعلى والنيجر، وتعد هذه العناصر كثيرة العدد ومختلطة كثيرا فيما بينها (5).

ويعد المؤرخ العربي المسعودي المتوفى سنة346هـ/957م أول من تحدث عن نسب الحامي للسودان، حيث يذكر بأن نوحا عليه السلام دعا على ابنه حام بتشويه الوجه وسواده وأن يكون ولده عبدا لولده سام، فهمّ بأن يقتل امرأته التي أنجبت له هذا الولد الأسود، فمنعه سام، وذكّره بدعاء أبيه

([1]) الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية. دار الكتاب الحديث، الكويت، طبعة أولى، 1415هـ /1994م، ص ص 16و17. . أنظر أيضا:الدمشقي (شمس الدين)، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. طبعة ليبزيغ،1923 م، ص ص 240و241

([2])Delafosse (M) ,Op Cit, p114

([3]) طيب عبد الرحيم محمد الفلاتي، المرجع السابق، ص 241 .

(**2**) باري (محمد فاضل) وكريدية (سعيد إبراهيم)، المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة.دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2007م،طبعة أولى، ص24

(**3**)Delafosse (M) ,Op Cit, p114

عليه فغضب ونزع الشيطان بين الإخوة وحمل بعضهم على بعض، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى مصر وتفرق بنوه، ومضى على وجهه يؤمُّ المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى إلى موضع يعرف اليوم بأصيلا وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من نحو الأندلس إلى ناحية القبلة.

ويضيف المسعودي بأن بنيه ندموا على تركه للمكان، فخرجوا على إثره يطلبونه في النواحي التي قصدها، فوجدته طوائف منهم فبقوا معه إلى أن مات، فقطنوا بذلك البلد وسكنوا به وهم أصناف السودان[1]، كما ينسبهم نفس المصدر في موضع آخر إلى أولاد نبيط بن كنعان، ويقول بأن النبيط هو السواد[2].

ويضيف المسعودي بأن أبناء سودان بن كنعان يتفرعون إلى عدة أمم، وهم مختلفون في أفعالهم، ولهم ملوك ومنهم أجناس يلبسون الجلود وهم عراة، ومنهم من يتّزر بالحشيش، ومنهم قوم يعملون لرؤوسهم قرونا من عظام الدواب[3]. أما ابن خلدون فينسبهم إلى ولد حبش بن كوش بن حام، ويقسمهم إلى ثلاثة أقسام وهم: النوبيون، وهم أبناء نوبة بن كوش بن كنعان بن حام، الزنوج وهم أبناء زنجي بن كوش بن حام، أما القسم الثالث فهم سائر السودان الذين ينتمي إليهم سودان إفريقيا الغربية[4].

إن الشيء الملاحظ من روايتي المسعودي وابن خلدون أن السودان ينحدرون من ولد كوش بن كنعان بن حام، و أن كوش هو أول إنسان ذا بشرة سوداء من ذرية نوح عليه السلام. لذلك نرى بأن الكثير من المصادر العربية تسمي السودان بالكوشيين أيضا، كما نفهم أيضا من هاتين الروايتين بأن السودان ينقسمون إلى عدة جماعات تنتشر في مختلف أرجاء إفريقيا، ونستخلص أيضا بأن الموطن

([1]) المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين)،أخبار الزمان ومن أباده الحدثان و عجائب البلدان الغامر بالماء والعمران.دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م، ص 86 .

([2]) نفسه، ص 87 . وقيل بأنهم سموا نبيط لأنهم استنبطوا الأرض وعمروها، وكانوا أصحاب عمارة وتدبير. (الدمشقي، نخبة الدهر. ص266) .

([3]) نفسه،ص87

([4]) العبر، الجزء السادس، ص264.

الأصلي للسودان عند هجرتهم الأولى إلى إفريقيا كان سواحل المغرب الأقصى، أي شمال الصحراء الكبرى. وهو ما أكدته بعض الدراسات الحديثة التي استمدت مصادرها من روايات القبائل الموريتانية في منطقة ترارزة، ومفادها أن الشعوب السوداء كانت تعيش شمال مواطنهم الحالية، وكانت تصل مضاربهم إلى غاية جبال الأطلس المغربية، وأن من دفعهم إلى مواقعهم الحالية في جنوب الصحراء هو قدوم شعوب عمالقة بيض من سوريا(1)، وخاضوا حروبا مع السودان ودفعوهم نحو الجنوب، وأن هذه الأحداث عمرها أكثر من ألفي سنة.

ونلاحظ أيضا بأن نفس هذه الفرضية ترددها الروايات الشفوية لشعب السوننكي، إلا أنها تختلف معها في كونها ترجع سبب تلك الهجرات السودانية نحو الجنوب بسبب طبيعي وهو لجفاف الذي بدأ يحل بالصحراء الكبرى، والذي دفع الشعوب السودانية المزارعة إلى التوجه جنوبا نحو نهري السنغال والنيجر للبحث عن مصادر الري(2). ومهما يكن فإن السودان يتفرعون إلى خمس عائلات عرقية منتشرة في منطقة السنغال الأعلى والنيجر وهي:

أ.التكرور:

ويعرفون بأسماء مختلفة منها التوكولور(Toucouleur) أو الساراكولي (Sarakhoulé)، ويعد هذا الشعب من أقدم الشعوب السودانية وأشهرها، إلى أن المشارقة وخاصة المصريين كانوا يطلقون اسم تكرور على كل بلاد السودان، وحتى في عهد أوج عظمة إمبراطورية مالي وشهرتها كانوا يخلطون بين هذه الدولة العظيمة ومملكة التكرور مما كان يغضب كثيرا ملك مالي "منسا موسى" ويصر على

(1) ربما يقصدون بذلك العمالقة الهكسوس، وهم بدو رعاة طوال القامة، زحفوا خلال القرن 18 قبل الميلاد على مصر الفرعونية واحتلوها وأسسوا فيها الأسرة الفرعونية الثامنة عشر، ولكن بعد زوال حكمهم تفرقوا في الأرض. لكن المصادر التاريخية لم تذكر إن كانوا قد توجهوا نحو الغرب أم لا، ولكن لا توجد آثار لهياكلهم العملاقة في بلاد المغرب.ولا توجد أية إشارة كذلك تنفي وصولهم أرض المغرب.

(2) Chavane (A.Bruno) , villages de l’Ancienne Tekrour.Editions Karthala, Paris, 1984, p29.

تصحيح هذا الأمر أمام الملوك المصريين، ويؤكد لهم بأن مملكة التكرور لم تكن سوى إقليم صغير من إمبراطورية مالي المترامية الأطراف[1].

إن هذه الشهرة التي اكتسبها التكروريون ربما تعود إلى أسبقيتهم إلى اعتناق الإسلام من بين كافة شعوب السودان الأخرى، حيث اعتنق ملكهم "وارجابي" أو "وارديابي" الإسلام منذ أوائل القرن الخامس الهجري /11م، أي قبل غزو المرابطين لمملكة غانة الوثنية.

فالمؤرخ الأندلسي أبي عبيد الله البكري يقول عن مدينة التكرور ((وأهلها سودان وكانوا على ماساير السودان عليه من المجوسية وعبادة الدكاكير، والدكور عندهم الصنم، حتى وليهم وارجابي بن رابيس فأسلم وأقام عندهم شرائع الإسلام وحملهم عليها وحقق بصائرهم فيها، وتوفي ورجابي سنة اثنتين وثلاثين وأربع مائة، فأهل التكرور اليوم مسلمون))[2]. وبذلك يكون إسلام ملك التكرور عام 432 هجرية الموافق لسنة 1040 أو1041 للميلاد، وكان التكروريون أكثر شعوب السودان تفاعلا مع بربر صنهاجة المسلمين في الشمال، وليس أدلّ على ذلك تحالفهم مع أمير المرابطين يحي بن عمر ضد قبيلة جدالة عام 448هـ /1057م، إذ انضم الأمير التكروري" لبي بن ورجابي" إلى جيش يحي بن عمر[3].

ويعد التكرور طائفة من طوائف السودان، اقترن اسمهم باسم البلد التي سكنوها وهي التكرور[4] حيث كانت مواطنهم التي ما زالوا يقطنونها إلى يومنا هذا وهي منطقة "فوتا السنغالية (Fouta Sénégalaise)، لكن موطنهم الأصلي الأول أي إلى غاية القرن السابع للهجرة/13م فهو ضفتي نهر السنغال، حيث يخبرنا ابن سعيد بأن قاعدتهم كانت ضفتي نهر السنغال، وهي المنطقة

([1]) العمري(أبن فضل الله)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.تحقيق:حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ/2002م، الجزء الرابع، ص108.

([2]) البكري(أبو عبيد الله)، المغرب فيذكر بلاد افريقية و المغرب. وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، طبعة دوسلان، ميزونوف، باريس1963، ص172.

([3])نفسه، ص 168 .

([4]) الدمشقي، المصدر السابق، ص 267.

المسماة بالتكرور، وبها اكتسبوا هذا الاسم[1]، لكنه يشير أيضا بأن معظمهم يسكنون الضفة اليمنى لهذا النهر، أي الضفة الشمالية، أما بالنسبة للضفة الجنوبية فعددهم قليل، كما كانوا ينقسمون إلى قسمين وهما سكان المدن وأهل البوادي[2].

لكن الأحداث التي عرفتها منطقة السودان الغربي خلال القرن الخامس للهجرة/11م، من خلال زحف شعب السوننكي نحو الشرق، وزحف الولوف نحو الغرب جعل أراضي التكرور تتقلص[3].

أما من حيث النسب، فبالرغم من أن معظم المصادر العربية تميل إلى أنهم حاميون كبقية السودان ويعود أصلهم إلى أبناء كوش بن حام[4]، فان ابن سعيد يرى بأنهم ينتسبون إلى قبيلة مغراوة البربرية[5]. ويدعمه الدمشقي في ذلك فيقول ((وكلهم يرجعون إلى مغراوة وسفارة))[6]. ونحن بدورنا نرى بأن هذه الفرضية ممكنة على اعتبار الاحتكاك الطويل بين التكروريين والشعوب البربرية الذي أدى إلى اختلاط الدم التكروري بنظيره البربري، حتى أضحى التكروريون شعوبا سوداء مختلطين بالدم الأبيض[7]. لهذا نجد بأن ياقوت الحموي عندما وصفهم في معجمه لم يذكرهم على أساس أنهم سودان خالصين وإنما قال عنهم بأنهم أشبه الناس بالزنوج[8]. وبهذا يمكن أن نقول بأن شعب التكرور

([1]) ابن سعيد(أبو الحسن المغربي)،المصدر السابق، ص 91. أنظر أيضا: أبو الفدا(عماد الدين إسماعيل): تقويم البلدان. طبعة دوسلان، باريس ، 1830م، ص153 .

([2])ابن سعيد، نفس المصدر، ص91.

([3]) Delafosse (Maurice) , Haut Sénégal _ Niger. Les peuples, les langues, l'histoire, les civilisations.Emile larose libraire, Paris ; 1912, tome2, pp235, 236.

([4]) محمد حسن(نبيلة)، في تاريخ الحضارة الإسلامية. دار المعرفة الجامعية،مصر،د ت،ص234.

([5]) المصدر السابق، ص 91.

([6]) الدمشقي، المصدر السابق، ص267.

([7]) Delafosse (Maurice) ,Les noirs de l'Afrique. Editions Payot, Paris, 1941, p17.

الحموي(شهاب الدين ياقوت)، معجم البلدان.مطبعة السعادة ، مصر، 1323هـ/1906م، المجلد الثاني، حرف التاء ص 39.

([8]) Gouvernement général de l'Afrique Française, Op Cit, p23

يمكن أن يكون قد تكوّن من اختلاط الفلاتة و الموريين و الولوف والماندينغ، لكن تبقى صفاتهم السودانية الزنجية واضحة جدا[1].

ب. السنغاي:

إن مصطلح سنغاي لم يطلق في بداية الأمر على الشعب وإنما على البلد الذي يسكنه هذا الشعب، وهي المناطق المجاورة لنهر النيجر عند ثنيته، أو ما يعرف بالنيجر الوسط، وهي المنطقة الانتقالية بين عالم الماندينغ والسودان الأوسط. فالسونغاي يعيشون على طول ثنية النيجر في منطقة البحيرات ومنطقة تمبكتو إلى غاية جاو، ويمتدون إلى غاية النيجر الأسفل في منطقة ساي[2].

ويتألف هذا الشعب من فرعين أساسيين هما: "**زرما**" أو "**جرما**" والذين يقيمون في جنوب منطقة جاو في ضواحي ساي (Say)، ويشملون مدنا هامة مثل نياني (Nianey)، دوزو(Doso) وتيلابري (Tilabri). أما الفرع الآخر فهو "**دندي**"، وهو في النيجر الأوسط بالقرب من ساي[3]، وقد عرف هذا الشعب بعدة أسماء منها "سوناي بوري (Sonay borey) ، أو "سونوي تي (Sonoy tye)، وقد استعمل هذا الاسم لأول مرة من طرف محمود كعت للدلالة على الشعب وعلى البلد معا[4].

([1]) نبيلة حسن محمود،المرجع السابق، ص 239.

Trimingham(Spencer) ,Islam in west Africa. Oxford - university press oxford, New York, 1962, p84

([2]) نبيلة حسن محمود، المرجع السابق، ص238

([3]) Mahmoud (Kati), Tarikh el fettach. Traduction Française par : O.Hodas et M.Delafosse, éditions, Ernest Leroux. Paris, 1913, p81.

(**3**) Trimingham(S) ,Op.Cit, p84

(**4**) ويعد سن علي أحد ملوك إمبراطورية سنغاي، وفد تولى الحكم سنة 869هـ/ 1464م، بعدما هرب من البلاط الملكي المالي أين كان أسيرا و لقب نفسه ب"شي كولن" أو"سن علي" التي تعني خليفة السلطان، وبذلك أعلن عن استقلال مملكة سونغاي عن سيطرة مالي، و قام بالاستيلاء على تنبكتو وجني ، لذلك يمكن القول بأنه المؤسس الحقيقي لإمبراطورية سنغاي.حول هذا الموضوع أنظر: **شعباني(نور الدين)**:علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية.رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط. جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1426.1427هـ/2005. 2006م، ص22.

ونشير هنا إلى أن هذه الأسماء تعطى عادة لعائلات ملوكهم ثم يحتفظ بها الأحفاد فيما بعد، حيث نجد أن اسم "سونوي تي (Sonoy tye) مثلا هو لقب أعطي لأحفاد "سن علي" من السنغاي[1]، بينما نجد أن لقب دندي أعطي لأحفاد أحد ملوك سونغاي آخر، وهو "سن سليمان داما" أو "شن سليمان داما"، الذي كان يلقب بدندي وهو الذي ينتسب إليه السنغاي الذين يسكنون مدينة أرحام[2].

ويعد شعب سنغاي شعبا غير متجانس مثله مثل بقية الشعوب السودانية الأخرى، رغم أن المؤرخين القدماء كانوا يعتقدون لفترات طويلة بأنه شعب سوداني خالص. لكن الأبحاث التاريخية الحديثة بيَّنت بأنهم زنوجا لكنهم اختلطوا مع العناصر البربرية، من ساميين (عبرانيين) وفلاتة وموريين[3]،كما اختلطوا أيضا مع الشعوب السودانية الأخرى من إثنيات متباينة، حيث ارتبطوا بعلاقات مصاهرة مع غورمانشي موسي (Gourmanchi-mossi)، ومع بعض الصيادين من أدغال إفريقيا المعروفين بغو (Gow)، بالإضافة إلى ارتباطهم المحتمل بالسوركو(Sorko) وهم صيادو الأسماك الذين يكونوا قد هاجروا من الشرق من منطقة التشاد[4].

ج.الماندينغ:

ويطلق عليهم أيضا اسم "ماندي"، و"ماندينكا"، ويشكل الماندينغ القسم الأساسي لشعوب المجرى الأعلى لثلاثة أكبر الأنهار في إفريقيا الغربية وهي السنغال، غمبيا والنيجر. كما أنهم ينتشرون في كل منطقة السودان الغربي، وفي جنوب السنغال، وفي النيجر الأعلى انطلاقا من سواحل المحيط الأطلسي إلى غاية جمهورية نيجريا الحالية[5]. وإذا ما أردنا تحديد مجالات شعب الماندينغ جغرافيا فإننا

1

(2) Mahmoud (Kati) :Op.Cit, p81.
(3) Delafosse, Haut S- N, tome1 p238.
(4) Trimingham (Spencer),Op Cit, p81.
(5) Sik (andre) , Histoire de l'Afrique noire Budapest. , (Hongrie, 1962 ,2eme édition, tome 1, p48.)

نقول بأنه يحدها من الغرب مرتفعات فوتا جالون، ومن الجنوب تحدها غابات جنوب غينيا، ومن الشرق والشمال تحدها غابات السفانا السودانية[1].

ويتميز شعب ماندينغ ببشرة سوداء وشعر منكوش متصوف وأنف مفرطح وشفاه عريضة وفك بارز، بينما يتميز الجزء العلوي من أجسادهم بالطول[2]. فهم يمثلون إذن العنصر السوداني الخالص. وينقسم شعب الماندينغ أو الماندي إلى ثلاث جماعات فرعية هي:

1.ماندينغ الشمال:

ويعرفون بماندي تان (Mandi-tan)[3] ويمثله شعبا "البوزو" و"السوننكي". **فالبوزو** يمثلون لدى ماندينغ الشمال طبقة صيادي السمك والملاحين، ويقطنون أساسا في بحيرة ديبو (Débo) وذراع نهر النيجر المسمى دياغا(Diagha أو (Diaga) أو دياكا (Diaka) إذ لم يغادروا هذه المنطقة، واعتبروا أنفسهم مالكي أرضها ومياهها، وقد اختلط البوزو في عصور غابرة مع عائلات أخرى مثل عائلة "سوركو" من سنغاي وعائلة "باناما"، وهو ما أدى إلى تغيير في لغتهم ولهجتهم الأصلية[4].

أما **السوننكي**، فيعرفون أيضا بالسراكولي[5] أو الماركا، ويذهب دولافوس إلى أن موطنهم الأصلي كان في دياغا أو "مسينا" لكنهم اتجهوا إلى الشمال الغربي أين أسسوا مستوطنات زراعية هناك، بينما بقي جزء منهم مستقر في دياغا[6].

([1]) Niane (Temsir djibril) , Mise en place des populations de la haute guinée. In Revue éthiopique, (N°02, Avril, 1960, p40).

([2]) Dr Collomb ,OP Cit, p6

([3]) Niane (D T), Mise en place des populations de la haute Guinée p53.

([4]) Delafosse , Haut S-N, t1, p253

([5])Ibid,Pp255, 256 ; Abel (Holvelaque), Les nègres de l'Afrique sous équatoriale. Lecrosrier et Babé librairie éditeurs, Paris, 1889, p157.

(**5**) Delafosse (M) ,Op Cit, p256. In Revue électronique (Copyright) , Edité par : N'ko institute, N°C, année1999-2000, P6 et7 .Site électronique : http : //www.kanjamadi.com. Consulté le: 04-01-2008

لكن مواطنه أبل هوفيلاك(Abel hovelaque) فيقول بأن كل السراكولي أصلهم من بلاد غالام(Galam) على نهر السنغال، أو من كانياغا (Kaniaga) الواقعة في ضفة إحدى الفروع الغربية لنهر النيجر.

ومهما يكن فان هذا الاختلاف يؤكد بأن السراكولي قدموا من الجنوب، ذلك أنه خلال أواخر القرن السابع الميلادي، ولأسباب مجهولة قام عدد كبير منهم بالهجرة إلى غاية منطقة كينغي (Kingui) في الشمال، ثم في حوالي عام 750م، ترك أغلب هؤلاء المهاجرين كينغي وعادوا إلى منطقة أوكار أو "واغادو" أين أسسوا أول دولة للسوننكي، وهي مملكة "واغادو" أو"غانة"[1]. وقد تحدثت الروايات الشفوية للسوننكي كثيرا عن هذه الهجرة، حيث يقولون بأنها كانت بسبب الحروب وهروبا من بطش الأعداء، ورغم أنهم لم يذكروا من هم هؤلاء الأعداء، إلا أنهم يشيرون إلى أن السوننكي استقروا بعد ذلك في منطقة الوسط أو مايعرف ب"ماندن القديم"[2]. حيث تفوقوا في بلاد ماندن الأوسط، واختلطوا مع أجناس أخرى من البربر والفلاتة، وشكلوا مجموعة عرفت بالوانغارا (Wangara) أو"ونجراتة" أو "واكوري" [3].

ويعد الونغارة عنصرا أساسيا في شعب السوننكي، حيث لعبوا دورا أساسيا في تاريخ غانة. ولقد كان الونغارة مجموعة سوداء وصلت إلى بلاد مندن الأوسط في وقت غير معروف، وانضمت إلى شعب مالي الذي كان تحت سيطرة إمبراطورية غانة واندمجوا معه، لكنهم بقوا يحتفظون بهويتهم،

([1]) Delafosse (M) ,Op Cit, p256.

([2]) سولومانا كونتي،مذكرة تاريخ ماندن القديم و الحديث

In Revue électronique (Copyright) , Edité par : N'ko institute, N°C, année1999-2000, P6 et7 .Site électronique : http : //www.kanjamadi.com. Consulté le: 04-01-2008

([3]) نجدهم عند البكري باسم جنجارة ومفردها جنجاري. المصدر السابق، ص163.. وكلمة وانغارا تعني في اللغات الإفريقية الأرض التي تكون فيها الشمس منخفضة ، و تغمرها دائما الشمس.

Revue encyclopédique ,par une réunion de membre de l'institut, édite par : Sédillot, librairie,(Paris, octobre-décembre 1829,tome44,p16).

حيث ميزهم المؤرخ السوداني محمود كعت عن المالنكي فقال: ((إن المالنكي هو الجندي و ونكر من يتاجر ويسعى من أفق إلى أفق[1].

ولقد كان الونغارة في بداية أمرهم عبيدا لملوك غانة [2] ولكن بفضل دورهم التجاري وتفوقهم على المالنكي تمكنوا من الحصول على امتياز يمنحهم الحق في ممارسة تجارة الذهب المسحوق المعروف بالتبر[3]. فجعلوا من أودغست التي استقروا بها محطة تجارية عظمى،كما لعبت بعض العائلات منهم مثل: فوفانا، تيميتي، باكايوكو، سيسي وحيدرة دورا كبيرا في نشر الدين والدعوة الإسلاميتين في المراكز التجارية، وهو ما منحهم مكانة كبيرة لدي ملوك غانة[4]. وعموما فإن الونغارة هم فرع من فروع السوننكي انتشرت في عدة مناطق من بلاد ماندينغ، كهضاب الماندينغ العليا، وحوض غمبيا في الجنوب، كما يجدون أيضا في الشمال في المناطق الصحراوية الغربية[5].

ومن فروع السوننكي أيضا نجد الديولا (Dioula) أو " الجيولا"، وينحدرون من سلالة السوننكي ولكنهم انفصلوا عنهم قبل أن يختلطوا مع شعوب الساحل من ساميين وموريين، وهو ما جعلهم يحتفظون بنمطهم الماندي الأصيل، فلغتهم تختلف عن المالنكي وعن كثير من لغات جيرانهم الماندي. ويؤكد الديولا أنفسهم هذه الأصالة من خلال قولهم بأن كلمة ديولا (Dioula) تعني عمق السلالة المندية[6].

إن الشيء الذي لاحظته عند دراستي لهذا الشعب هو ذلك الخلط الذي وقع فيه كثير من المؤرخين بالنسبة للمالنكي والديولا، فمنهم من يقول بأنهما شعب واحد ويختلفان في الاسم فقط،

([1]) Mahmoud (Kati) ,Op Cit, p65

([2]) Trimingham(S),Op Cit, p48

([3]) حسن محمد نبيلة،المرجع السابق، ص109 . ونشير إلى أن ملوك غانة كانوا يستحوذون على معدن الذهب ويتركون للرعية الذهب المسحوق المعروف بالتبر حتى لا يفقد الذهب قيمته (البكري:المصدر السابق، ص177). ويضيف البكري (نفسه، ص 87) ومن يرسني يجلب السودان العجم المعروفين بنونغمراته وهم تجار التبر إلى البلاد.

([4]) Adreas (W.Massing), The wangara, and old diaspora in West Africa. In revue : Cahier d'études Africaines, N°02, volume 40, année : 2000, pp de 281 au 308.

([5])حسن محمد نبيلة، المرجع السابق، ص237.

([6]) Delafosse (M) , H S-N, tome1, p280

ومنهم من يجعلهما شعبين مختلفين بحيث يتفرعان من ماندينغ الوسط.لكن يبدو أن ديولا أو"جولا" هم عبارة عن مجموعة من العشائر المجتمعة في شكل قرى، والتي تنتمي إلى شعب المالنكي،كما أنهم تمركزوا على شكل جاليات صغيرة في المراكز التجارية الهامة و نقاط عبور القوافل التجارية التي تخرج من مالي باتجاه مناجم الذهب في "بامبوك" و"غالام"أو باتجاه الغابات الاستوائية[1]. ذلك لأن ديولا يمتهنون التجارة المتجولة حيث أن كلمة ديولا في لغة المانكي تعني تاجرا[2].

وقد اعتنق الديولا الإسلام في وقت مبكر، واتخذوا نظاما عشائريا[3]، وعندما بلغت الإمبراطورية المالية أوجّ قوتها خلال القرن السادس للهجرة/13م، اتخذ الديولا منها قاعدة تجارية سمحت لهم بالتعامل مع العالم العربي الإسلامي، كما كسبوا مودة الملوك الأفارقة حيث أقاموا معهم علاقات جيدة سمحت لهم بممارسة نشاطهم كمفاوضين تجاريين[4].

ويشير موريس دولافوس إلى انه من الصعب تحديد الوقت أو الظروف التي ظهر فيها الماندي لأول مرة في الأرض التي يقطنونها الآن تحت اسم ديولا، ويذكر بأن مختلف الأهالي في مناطق كونغ (Kong)، غميني(Guimini) وغيامبالا(guiambala) أو ديامالا (Dyamala) قد أخبروه بأنهم يجهلون تاريخ استقرارهم في هذه المناطق، كما أن الرواية الشفوية الأكثر شهرة في المنطقة تقول بأنهم قدموا من الغرب، وتذهب إلى أنه منذ عدة قرون كان الديولا يأتون إلى منطقة كونغ من أجل ممارسة التجارة، وشيئا فشيئا وجدوا البلد مناسبا لهم فاستقرت بعض العائلات منهم، ونشرت من حولها تقاليدها ونمط لبسها وديانتها التي كانت الديانة الإسلامية.

([1]) Millet (Eric) et Maunaud (Jean Luc) , Mali.ditions Olizane, Genève, Suisse, 2ème édition, 2007, p90.

([2]) جبريل(تمسير نياني)، مالي والتوسع الثاني للماندينغ. ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، صادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م، المجلد الرابع، ص129.

([3]) يمكن أن نعرف العشيرة على أنها مجموعة عائلات منبثقة من جد واحد، أوهي مجموعة أحفاد لسلف مشترك يعيشون في أماكن متفرقة. وكان الماندينغ يطلقون على العشيرة اسم"لوا ودو" .

([4]) Millet (Eric) et Jean (Luc) ,Op Cit, p90.

وقد نمت هذه المستوطنات الجديدة بفضل وصول مستوطنات مندية أخرى جديدة، وخاصة عندما تزوّجوا مع نساء القبائل المحلية مثل بوبو(Bobo)، كبارهالا (Kparhala)، أكني (Agni) وخاصة السينوفو (Senoufo)، ومن خلال زواج هؤلاء الماندي مع نسوة من عناصر عرقية مختلفة ظهرت قبيلة ديولا[1]. فهي إذا لا تمثل العنصر المحلي الخالص كما يدعيه الديولا أنفسهم، ويمكن أن نقول أيضا بأن الديولا الخالصين (الأقحاح) عددهم قليل جدا مقارنة بشعوب البلاد التي يسكنونها، لكنهم يتميزون بذكاء أكبر عموما من السكان الأصليين، كما يتميزون بعقلية متفتحة أكثر وأكثر ثقافة خاصة بعد اعتناقهم الإسلام[2].

ويتميز الديولا الأصليون بعدم وضع الوشم على أجسادهم عكس أولئك الذين ولدوا من زواج مختلط بين ديولا وسينوفو، والذين يدعون بسورونغي(Sorongui) فقد كانوا يوشمون خدودهم[3].

ويقطن الديولا مراكز هامة شرق باني وفي فولتا العليا وفي غينيا العليا[4]، ويعتبرون من كبار الرحالة التجار حيث يتفوقون في ذلك على جيرانهم الونغارا إلى درجة أصبح فيها اسم ديولا مرادفا لتاجر**.** ويتمركز الديولا في المدن الهامة ضمن جاليات مجتمعة وسط السكان المحليين من المزارعين الوثنيين، وهو ما مكنهم من التضامن أكثر فيما بينهم وإقامة مجتمعات قائمة على أساس ديني وتجاري، وهذا ما زاد في قوتهم ودرجة تأثيرهم على السكان الذين يعيشون بينهم[5].

([1]) Delafosse (Maurice) ,Essai manuel de la langue Mandé ou Mandingue. Ernest Leroux éditeur, Paris, 1901, pp3, 4

([2])Delafosse (Maurice) ,Essai manuel, p4

([3]) Loc Cit.

([4]) أنظر الخريطة رقم5 ضمن الملاحق.

(**5**) حسن محمد نبيلة، المرجع السابق، ص 238. و تجدر الإشارة إلى أنه لا يجب أن نخلط بين ديولا التي نحن بصدد الكلام عنها وهي قبيلة ماندية مع الديولا آكلي لحوم البشر، والذين يسكنون أعالي نهر كفالي، ولا مع ديولا أو "يولا" الذين يسكنون كازامانس، ولا مع تجار القوافل في السنغال الأعلى، والذين تلقبوا بديولا وهم ليسوا ماندييين بل أن أغلبهم من السراكولي، كما نجد أيضا أن هناك من يطلق اسم "بمبارا" على الديولا الموجودين في كونغ وهذا خطا.حول هذا الموضوع أنظر**:** Delafosse(M) ,Essai manuel,p5 et 6

وقد كانت جماعات ديولا تجوب السودان الغربي، وتسيطر على تجارة الذهب بفضل تميزهم بالصدق والأمانة والثقة، وسيطروا أيضا على تجارة نبات الكولا الذي كان يعد نباتا مقدسا لا يجوز لغيرهم تجارته[1]. وكان هذا الامتياز قد تحصلوا عليه من ملوك مالي نظرا لعلاقتهم الوطيدة بهم، بالإضافة إلى أخلاقهم وأمانتهم وفي المقابل كانوا يحصلون على النسيج والمصنوعات الزجاجية والجلود المدبوغة والملح. كما كانوا بالموازاة مع نشاطهم التجاري يشكلون دعاة ماهرين للإسلام في المناطق التي يدخلونها، وخاصة المناطق الجنوبية الغابية[2].

2. ماندينغ الوسط: *ويتفرعون إلى أربع مجموعات هي:*

أ. كاغورو (Kagoro):

ويعد الموطن الأصلي لهم هو باغانا (Bagana)[3]و ربما هذا الإقليم هو الذي ذكره الإدريسي باسم بغامة بقوله: ((وأهل بغامة سودان برابر قد أحرقت الشمس جلودهم وغيرت ألوانهم، ولسانهم لسان البربر، وهم قوم رحالة وشربهم من عيون يحفرونها في تلك الأرض عن علم لهم بها وتجربة في ذلك صحيحة))[4].

وكان الكاغورو ينتشرون في منطقة تمتد إلى غاية غرب وجنوب غرب "دياغا"، بحيث يشكلون الحد الفاصل بين المواطن الأصلية للسوننكي والمالنكي، لهذا فقد شهدت أرضهم صراعات طويلة ودامية بين الصوصو والمالنكي، كما تعرضوا للاحتلال من طرف شعب"البمبارا" لهذا نجد بأن معظم

([1]) Camara (Mamadou) , Parlons Malinké .Editions l'harmattan(Paris, 1999, p11.

(2) يعد إقليم بغانا الإقليم لذي وجدت فيه عاصمة غانة"كومبي صالح" التي كانت تسمى عند السوننكي "واغادوغو"، أما الماندينكا فكانوا يطلقون عليها اسم"باغانا" .Trimingham(S) ,Op Cit, pp48 et 49

الإدريسي، المصدر السابق، ص43

(3) يعد إقليم بغانا الإقليم لذي وجدت فيه عاصمة غانة"كومبي صالح" التي كانت تسمى عند السوننكي "واغادوغو"، أما الماندينكا فكانوا يطلقون عليها اسم"باغانا" .Trimingham(S) ,Op Cit, pp48 et 49

(4) الإدريسي، المصدر السابق، ص43.

الكاغورو الأصليين قد ذابوا في شعوب السوننكي والبمبارا والمالنكي، ويتكلمون لهجة تميل بشكل واضح للغة السوننكي[1].

ب.الباماتا أو"البمبارا":

إن كلمة "**بمبارا**"هي تحريف لكلمة "**باماتا**" وهي التسمية الأصلية لهذا الشعب، والتي تعني الصخرة ذات النتوءات الحادة، والأوربيين هم الذين أطلقوا على هذا الشعب اسم بمبارا[2]، وهو نفس الاسم الذي نجده عند عبد الرحمان السعدي في تاريخ السودان، حيث كان المسلمون يطلقونه على السودان غير المسلمين.

أما الموطن الأصلي للبمبارا فهو منطقة نهر النيجر عند خطوط طول 8 و 10 درجات غرب خط غرينتش، أي يمتد من الضفة اليمنى للنيجر الأعلى وبالضبط من مرتفعات سيغيري (Siguiri) إلى غاية الضفة اليسرى من أعالي منطقة باغبي (Bagbé)[3] التي تبدأ منها أراضي شعب السينوفو، وبهذا فان موطنهم يضم أيضا نهر باولي (Baoulé) و إقليم واسولو(Ouassoulo) من الجنوب، وقد تمتد مجالات بمبارا إلى غاية المجرى الأسفل لنهر السنغال، وبذلك فإن أراضيهم تشكل مثلثا قاعدته إلى الشمال وزاويته إلى الجنوب. ويعد البمبارا سودانا مولدين، رغم أن بعضهم يمثل النوع السوداني الحقيقي، بينما البعض الآخر يتميز ببشرة أقل سمرة، أما شعرهم فهو أقل تصوفا من غيرهم من الزنوج، وتكسو ذقونهم لحية كثيفة، ولهم قامة متوسطة عموما لكنهم أقوياء جدا، وتبقى قبيلة كورباريس (Kourbaris) تمثل النموذج البمباري الحقيقي الذي لم يختلط بأقوام أخرى[4].

ومن صفات البمبارا قلة تحضرهم وميلهم إلى التوحش، وهذا بسبب انعزالهم وعدم تعاملهم مع الأجانب، بالإضافة إلى قوة بأسهم وشدتهم التي جعلت منهم أقواما محاربين فيما بينهم على الدوام

([1])Delafosse (M) : Haut S – N, tome 1, p282

([2]) Pâques (Viviana) : Les Bambara Éditions l’Harmattan, (Paris, 2005, p17).
L’épopée Bambara de Ségou, Recueillie et traduite par :Lyliane Kesteloot, avec la collaboration d’Amadou Traoré et Jean –Baptiste Traoré, édition orizons, Paris, 2010 , p8.

([3]) وهي منطقة تقع جنوب غرب جمهورية غينيا الحالية وتنتمي إلى إقليم كيسيدوغو (Kissidougou)

([4]) Abel (Hovelaque) ,Op.Cit, p160 - Paques (Viviana) :Op.Cit, p5

كما يتعاطون النهب والفتك والسرقة، ويتحارب البمبارا بالنبال التي يتقنها رجالهم ونساؤهم على حد سواء[1]. أما لغتهم فهي قريبة من لهجات كل من الديولا والخاسونكي والمالنكي، التي تنتمي إلى اللغة المندية، لكنها تختلف كثيرا عن لغات الصوصو والسوننكي وبدرجة أكثر لغة الفلاتة[2].

ج.الخاسونكي:

وهم من شعوب السودان الغربي، حيث يعدون خليطا من الشعوب المورية والمندية، ويتمركزون في المناطق التي تفصل بين جيرانهم الكاغورو وسكان الحوض (الصحراء)[3]. ولقد ظهر هذا الشعب لأول مرة مع نهاية القرن الخامس للهجرة/11ميلادي على الضفاف الشمالية لنهر السنغال في الوقت الذي كان فيه المالنكي يتمركزون في الضفة الجنوبية له، ولقد كان ظهورهم نتيجة امتزاج عدة فروع من الفلاتة مع الزنوج من السكان المحليين في منطقة السنغال الأعلى وهم الكاغورو، أو نتيجة اختلاط العنصر السوداني مع المور[4].

وحسب الروايات المحلية فان ظهور الخاسونكي(khassounké) أو الكاسونكي(Kassounké) كان نتيجة زواج راعي فلاتي يدعى أمادو حاوا (Amadou haoua) من امرأة من الباناما أو(البمبارا) تابعة لأسرة كان أمادو هذا يرعى لها بالغنم[5]. لهذا ونتيجة هذا الاختلاط فان عدد كبير من الخاسونكي ورغم صفاتهم الزنجية المتمثلة في شعرهم السوداني المتصوف فإنهم أخذوا صفات الفلاتة والمور، حيث أن بشرتهم ليست سوداء وإنما نحاسية[6].

([1]) مارمول (كربخال),المصدر السابق، ص52

([2]) Pâques (Viviana),Op.Cit, p14.

([3]) Muhammad Zyhdi Yakan, Al manac of African peoples and nations. Editions: Transaction book, New Jersey, (united stats of America, 1995, p405

([4])Abel (Hovelaque) ,Op Cit, p154

([5]) Delafosse (M) , Haut S – N ; tome 1 ; p290.

وبما أنه خلال القرن الخامس للهجرة/11م لم يكن الباناما قد وصلوا بعد إلى منطقة "كايس"، فموريس دولافوس (نفس المكان) يعتقد بأن الرواية أخطأت عندما ذكرت بأن المرأة كانت تنتمي إلى البامانا، بل يرى بأنها ربما كانت تنتمي إلى الكاغورو.

([6]) Abel (Hovelaque) ,Op Cit, p154.

د. المالنكي أو الماندي[1]:

يعد هذا الشعب أكثر شعوب الماندينغ شهرة على الإطلاق إلى درجة اقترن فيها مصطلح ماندينغ بالمالنكي في كثير من الحيان، بل أن معظم المراجع التاريخية أصبحت تذكر مصطلح ماندينغ عندما تتحدث عن المالنكي، رغم أن المالنكي ما هم إلا فرع من فروع المالندينغ الكثيرة وهم سكان مالي[2]. وعلى العموم فإن مصطلح مالنكي كان يطلقه الفلاتة والسراكولي على الماندينغ الذين يسكنون منطقة "بامبوك" ثم أنتشر بعد ذلك[3].

وتعد بلاد ماندينغ القديم هي نفسها الأرض التي شكلت الموطن التمهيدي للمالنكي، وهو ما زاد في ارتباط اسم الأرض بشعب المالنكي أيضا[4]. أما مواطن المالنكي فهي الأرض التي تضم حوض باخوي، وكل المقاطعة الموجودة بين باخوي الأعلى والنيجر جنوب مدينة كيتا وشمال غرب بماكو الحاليتين[5]. أما موطنهم الأول فكان في كانغابا (Kangaba) وهي قرية موجودة على بعد قليل من الضفة اليسرى لنهر النيجر قبالة بماكو[6].

لكن المالنكي لم يستقروا في موطنهم القديم هذا، وإنما انتشروا بعد ذلك (خاصة منذ بداية القرن السابع للهجرة/ 13 ميلادي) فيعدة مناطق مثل بوري (Bouré) سنغران (Sangaran) وغنغران (Gangaran)، أين أصبحوا يشكلون أغلبية سكان تلك الإمارات والمستوطنات التي أسسوها على

([1]) يذهب بعض المؤرخين إلى أن الكلمة مشتقة من "ماري"أو"مالي" وتعني فرس النهر، ويرى آخرون أن الكلمة مكونة من قسمين هما: ما:و تعني أم و دنك(دنغ): و تعني ابن Delafosse: H S –N, tome1, p291

([2])David Conrad ET Djanka Tassey: Sondjata: a West African epic of the Mande peoples, published by: Hachette publishing, Andianpolis, U SA 2004, p15.

([3]) Abel (Hovelaque) ,Op Cit, p136

([4]) Niane (Temsir djibril), Mise en place des populations de la haute guinée. In revue Ethiopique.N°02-Avril-1960, PP de 40 au 50.

([5])Delafosse,(M), Op Cit, p291

([6]) Ibid,p291

الضفة اليمنى لنهر النيجر، وكذا في شمال فوتا جالون والبامبوك ومنطقة كيتا، بالإضافة إلى المنطقة الممتدة بين باماكو وسيغو الحاليتين(1) .

ولكن بداية من حوالي عام 1230ميلادي/627 هجري، وهو تاريخ ظهور "سوندياتا كيتا" على مسرح الأحداث، بدأت هجرات المالنكي تتراجع وشكلوا من كانغابا مستقرا لهم، ونقطة الانطلاق لإمبراطورية حقيقية. ولكن هذه المرة سيكون توسعهم بشكل منظم، وذا طابع استعماري استيطاني اقتضته متطلبات بناء الإمبراطورية المالنكية، حيث وصلوا إلى مناطق بعيدة عن موطنهم الأصلي مثل توبا(Touba) ومانكونو (Mankono) في جمهورية كوت ديفوار الحالية، وإلى محور "سيغيري . دينغيراي (Siguiri . Dinguiray) في جمهورية غينيا الحالية، بالإضافة إلى نهري السنغال وغامبيا(2) وأصبحوا يشكلون هناك مجموعة متجانسة من السكان فيما يعرف اليوم بجمهوريات غينيا وغامبيا، كما أصبحوا يشكلون أقليات معتبرة في جنوب جمهورية السنغال وشمال غرب كوت ديفوار الحاليتين، بينما يتجمعون في شكل جالية كبيرة في جنوب شرق وجنوب غرب جمهورية مالي الحالية وخاصة في منطقة كايس(3).

وقد عرف المالنكي خلال العصور الوسطى بكونهم شعبا محاربا وفاتحا، بالإضافة إلى كونهم تجارا كبارا(4). وعندما ذكر المؤرخ السوداني "محمودكعت" المالنكي ركز على صفة الفروسية والحرب التي يبدو أنها كانت خصلة تميزهم عن الونغارا، فهو يقول بأنك إذا سألت عن الفرق بين مالنكي والونغارا فاعلم بأن الونغارا والمالنكي هم من أصل واحد، لكن المالنكي تطلق على المحاربين بينما الونغارا تطلق على أولئك الذين يمارسون التجارة المتنقلة من بلد إلى بلد(5).

---

(7) Delafosse,(M) Op Cit, p291

(2)Ibid, p291

(3) Cuello (Gabriel) et Robin (Loïc), Les Malinké de Kodugo. Publié par : L'harmattan éditions,Paris, 2005, p9

(4) Sory (Camara) , Gens de parole , Essai sur la condition et le rôle des griots dans la société Malinké. Editions Karthala, Paris, 1992, p17.

(5) Kati (Mahmoud) ,Op.Cit, p65

ويعد المالنكي أحد أكثر شعوب السودان الغربي شهرة لأنهم ارتبطوا بالملحمة التي صنعها أحد أبنائهم وهو سونديانا كيتا الذي بنا إمبراطورية واسعة وأوصل اسم وصوت وثقافة المالنكي إلى خارج إطار مندن القديم، ووصل بهم إلى غاية الصحراء الكبرى شمالا، وإلى المحيط الأطلسي غربا، وإلى غابات السفانا جنوبا[1]. بل أكثر من ذلك، فإن كلمة مالنكي ما هي في الحقيقة إلا لفظ بلغة الفلاتة ويقصد به شعب إمبراطورية مالي القديمة، بينما المالنكيون أنفسهم يفضلون أن يطلق عليهم اسم مانينكا (Maninka)[2].

كما أن لغتهم المالنكي تعد واحدة من أكثر لغات إفريقيا الغربية انتشارا في الأوساط المندية، وتعد أقدم اللغات وأكثرها حفاظا على أصالتها وعدم اختلاطها بلغات أخرى والأكثر تداولا في المنطقة، ومن الخصائص التي سهلت انتشاها، اتخاذها مخارج الحروف بأشكال مختلفة وهو ما جعل الكلمة الواحدة فيها تدل على معاني عديدة، بالإضافة إلى تميزها بطابع نغمي موسيقي جذاب[3]. بحيث تصفها الروايات الشفوية المحلية بأنها لغة واضحة، أما اللسانيين في العصر الحديث فإنهم يؤكدون بأنها أكثر اللغات سهولة للتعلم بفضل بساطتها، وعلاقاتها باللغات الأخرى للسودان الغربي، وبذلك تبنتها الشعوب الأخرى بسرعة، وهو ما جعلها تعد من العوامل التي ساهمت في توحيد شعوب إمبراطورية مالي منذ القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد، وإلى غاية أواخر القرن التاسع للهجرة/15م[4].

هـ .السينوفو:

ويعد شعب السينوفو شعبا أصيلا في المنطقة سواء في النيجر الأعلى أو في السنغال أو حتى في كوت ديفوار الحالية، حيث تجمع الروايات الشفوية على أنهم السكان القدماء لتلك الأرض، كما

([1]) Onyeka (Nwanunobi), Malinké,The Rosen publishing group, I N C,(New York, US A, 1980

([2]) يوجد ثلاثة أسماء تطلق على المالنكي الذين يعيشون قرب نهر النيجر الأعلى وهي :مالنكي ، ماندينكا ومانينكا، بينما يوجد هناك عدد كبير من المجموعات المالنكية الأخرى وتسمى المندي :

Onyka , Op.Cit p10

([3]) Ibid , p12 - Delafosse (Maurice), Essai de manuel pratique de la langue Mandingue,p222.

([4]) Onyeka (Nwanunobi),Op Cit, p 12.

تروي هذه الروايات بأن السينوفو كانوا في الأصل صيادي الفيلة وكانوا يسكنون إمارة ماسيغي (Massigui) في محور بوغوني (Bougouni) الحالية[1]، ثم تم إبعادهم من هناك بسبب غزو الباماانا (البمبارا)، حيث انتقلوا إلى أراض أخرى للصيد. فمنهم من توجه إلى سيكاسو، والآخرون اتجهوا نحو شمال كوت ديفوار الحالية والباقون اختلطوا واندمجوا مع البامانا[2]. ورغم ذلك فان السينوفو بقوا محافظين على صفاتهم الأصلية، ولم يعد يربطهم بالبامانا سوى اسم بمبارا الذي يطلقه عليهم المسلمون أو اسم بامانا الذي يطلقونه هم على أنفسهم[3].

إن شعب الماندي يعتبر السينوفو قوم همج وآكلي لحوم البشر، لذلك يمكن أن نعتقد بأن السينوفو ربما يكونوا هم أنفسهم أولئك الذين ذكرتهم المصادر العربية وهم سكان الجنوب المعروفين باللّملم أو (الدمدم) أو (الدمادم)، والذين وصفتهم بأنهم كفار مهملون يأكلون لحوم البشر، ولا يكادون يفقهون قولا، وأنهم أشبه بالحيوان[4].لكن يبدو أن هذه الصفات مبالغ فيها بالنسبة للسينوفو خاصة إذا ما علمنا بأن أغلب المصادر العربية نقلت معلوماتها عن تجار وفقهاء ودعاة ونبلاء المندي والديولا الذين كانوا ينظرون إلى الشعوب الجنوبية الكافرة نظرة استعلاء واحتقار.

و حسب دولافوس فأن شعب اللملم الذي ذكرته المصادر العربية يبدو أنه جزء من شعب سينوفو وليسوا كلهم متوحشون، حيث أن هؤلاء اللملم يضمون خليطا من شعوب متوحشة وبدائية، ويشترك معهم في هذه الصفة حتى أجداد الجالونكي، والبومانا الحاليون،وأجداد الكاغورو أيضا[5]

([1]) بوغوني Bougouni، مدينة في جمهورية مالي الحالية و تعد مركز منطقة "سيكاسو Sikasso" الواقعة على بعد 170كلم جنوب شرق بماكو عاصمة مالي.

([2]) Delafosse (Maurice), H S-N, T1, p300

([3])Delafosse (Maurice), H S-N, T1,p301.

([4]) الدمشقي(شمس الدين الأنصاري)،نخبة الدهر في عجائب البر و البحر. طبعة ليبزيغ Libzig ، 1923، ص 240 ابن سعيد:كتاب الجغرافيا، ص91.

([5]) Delafosse (M) ,Op Cit, p302

و. سكان الفولتا:

ويضمون سبع مجموعات هي: مجموعة الموسي (Mossi) أو (الموشي)[1]، اللوبي (Lobé)، كولونغو(Kolango)،باريبا(Bariba)وغورونسي (Gourounsi). بالإضافة إلى شعوب أخرى يسكن جزء منهم في السودان الغربي مثل التومبو(Tombo) والبوبو (Bobo)، والذين نجد عندهم الكثير من الصفات المشابهة للسينوفو، وخاصة صفة الإرتباط بالأرض والمهارات الزراعية والصناعية، ونزعتهم الرهيبة نحو الاستقلال والحرية[2].

وعلى العموم فإن سكان الفولتا يعدون أقدم سكان منطقة السنغال الأعلى والنيجر، شأنهم في ذلك شأن السينوفو، وينتشرون في كل المنطقة المنتمية إلى حوض فولتا الممتدة من مرتفعات هومبوري (Hombori)[3] في الشمال إلى غاية المناطق القريبة من الغابات الاستوائية في الجنوب[4]. لكن الشيء الملاحظ هو أن شعوب الفولتا لم تحافظ كلها على نفس مضاربها، وإن كانت بعضها لم تغير مكان إقامتها، فإن البعض الآخر غيّر إقامته الأصلية، ومنهم من اختلط مع المهاجرين القادمين من كل الاتجاهات، والتي فرضت سيطرتها على الشعوب القديمة في المنطقة و شكلت مجموعات سياسية مختلفة، منها تأسيس أول إمارة للموسي من طرف المهاجرين الغزاة القادمين من شمال واغادو(غانة) وهم عائلات كل من داغومبا،مامبورسي وناكومسي. ومنها أيضا مملكة غولمانس (Gulmance) التي

([1]) ويعد الموسي أهم هذه المجموعات، حيث تنتمي إلى عائلة الفولتا الكبرى، وينتشرون اليوم في فولتا العليا ويوجدون بعدد قليل السودان. ولم يتأثر هذا الشعب بالديانة الإسلامية، وليس لهم أجداد من أصول بيضاء، وقد أسسوا خلال تاريخهم ثلاث دول امتازت بنظامها السياسي والإداري المحكم. ويعد الموسي شعبا مزارعا ومن الرعاة، ثم تحولوا إلى تجار بعد ذلك .وكانت مملكة الموسي قد غزت إمبراطوريات عظيمة مثل مالي وسنغاي خلال أوج قوّتهما، كما قامت بنهب تمبكتو عام 733هـ/ 1333م، وهجموا على مسينا وخربوها عام890 هـ/ 1486م .

Gouvernement Général de l'Afrique occidentale Française, Le soudan.p25

([2]) Gouvernement Général de l'Afrique occidentale Française, Op Cit, pp25, 26.

([3]) هي سلسلة جبلية صخرية متواجدة في منطقة "موبتي Mopti" المالية قرب قرية "هومبوري" على بعد 100كلم من مدينة "دوانتزا Douentza " الحالية، ويبلغ ارتفاعها 1155متر، وتعد قمة " توندو Tondo " أعلى قمة في مالي.

([4]) Delafosse (M) : H S-N, T1, p302

أسسها مجموعة من المهاجرين الوافدين من شرق نهر النيجر، المعروفون بالمبا(Bemba) أو بوريسمبا (Bouricimba)[1].

لهذا يمكن ان نقول بان السودان الغربي ظل يشكل طبيعية و بشرية منسجمة من خلال التباين الاثني و التضاريسي الذي يعد عاملا رئيسيا في بروز التنظيمات و الكيانات السياسية، كما أن حركة الانسان المستمرة و هجراته على هذا السطح منح فرص ملائمة جدا لنقل التجارب و تبادل الخبرات بين شعوب المنطقة و هو ما كان في صالح ظهور حضارات راقية فيها.

([1]) Madiega (Georges Yenouyaba) : Chronologie succincte de l'histoire du Burkina Faso (Ex Haute-volta). In site électronique: http://www.histoire-afrique.org/rubrique3.html. Consulté le : 28-09-200

المحور الثاني: مملكة غانة

ظل السودان الغربي و كل الاقطار المترامية وراء الصحراء الافريقية الكبرى مجهولة بالنسبة لبقية العالم الى غاية القرون الاولى الميلادية، و لكن اول اتصال بين المسلمين و بلاد السودان كان مع مملكة غانة التي تعد اقدم و اعرق هذه الممالك السودانية. فلا نجد في المصادر مملكة سودانية ذكرت قبل هذه المملكة التي امتدت على مساحة شاسعة فارضة سيطرتها على اهم انهار المنطقة اهم شعوبها.

اولا: التعريف بغانة:

إن الشيء الذي يجب أن يعرفه الدارس لهذه المملكة هو أن غانة المقصودة بهذا الموضوع ليست هي غانة الحالية و التي كانت تعرف بساحل الذهب و لا تمت اليها بأي صلة. و أن غانة هذه هي مملكة قديمة قامت في السودان الغربي على ضفاف نهر السنغال منذ القرن الثالث للميلاد ، و هي اقدم مملكة عرفها السودان الغربي على ما يبدو.

و لقد عرفت عند الرحالة و الجغرافيين و المؤرخين العرب ببلاد التبر او بلاد الذهب لما كانت تحتويه ارضاضيها الجنوبية من ذهب فاق كل تصور، بل هو سبب تطورها الاساسي. فلقد ذكرها ياقوت الحموي في معجمه ضمن حرف التاء و الباء و سماها ببلاد التبر، حيث قال عنها: ((بلاد من بلاد السودان تعرف ببلاد التبر و اليها يعرف التبر الخالص، و هي في جنوب المغرب تسافر التجار من سجلماسة الى مدينة في حدود السودان يقال لها غانة ...))[1]، و تذكرها المصادر الاجنبية بمملكة واغادو(wagadou) نسبة الى مدينة واغادو التي جاءت عائلة سيسي و الى اسطورة الثعبان المقدس واغادجو بيدا المشهورة[2].

([1]) الحموي(ابو عبد الله ياقوت توفي سنة 626هـ): معجم البلدان، الطبعة الاولى، مطبعة السعادة، مصر،1906 م ، المجلد الثاني ، ص 361.

ثانيا: فترة حكم البيضان في غانة:

يعود التأسيس الاول لهذه المملكة الى عناصر بيضاء بربرية على ما يبدو[1] حيث استقرت هذه العناصر البيضاء حوالي سنة150م في منطقة الأوكار، و بعد خمسين سنة التحقت بهم جماعة اخرى من البيضان قادمة من منطقة توات، و حوالي سنة 300م تمكن هؤلاء البيضان من فرض سيطرتهم على الشعب السوننكي المحلي و استولوا على الحكم في مملكة غانة. و قد تداول على عرش غانة من البيضان حسب السعدي 22 ملكا من سنة 300 الى 620م او ربما 720م (اي قبل الهجرة كما ذكر السعدي)[2].

عموما فإنه في القرن الثامن للميلاد قام احد الملوك البيض في غانة بقتل احد السوننكي يدعى بنتيغي دوكوري(Bentigui Doukouré) لأسباب تافهة، وكان بنتيغي هذا الخادم المفضل لزعيم العائلة التي كانت تحكم غانة قبل استيلاء البيض على الحكم. و الذي كان في عهد الحكام البيض يشغل منصب وزير أول. لهذا قامت أرملة بنتيغي المقتول و التي كانت حامل آنذاك،الى اللجوء الى بيت الوزير الاول السوننكي و وضعت ابنها في بيته حتى تبعده عن انتقام الملك. و قام الوزير اخفاء هذا الولد في غابة قرية بعيدة عن القصر،و عندما كبر الطفل و اصبح رجلا أخبره الوزير بقصته فقام ابن بنتيغي بالتوجه الى القصر و قتل الملك الابيض و استولى على الحكم مدعوما بالسوننكي و بالتالي انهى حكم البيضان في غانة.

2[1]دولافوس يقول بأنهم من الشام او من بني اسرائيل ينحدرون من سلالة النبي سيدنا سليمان.

Delafosse(Maurice) : Haut Sén2gal-Niger, Le Pays, Les peuples, Les langues, L'histoire, Les civilisations. Paris, 1912, tome2, p26.

و يتذكر الروايات الشفوية بأن زعيم هذه الهجرة رجل يدعى دينيا(Digna) ينتسب الى سيدنا سليمان ابن داوود عليهما السلام و كان معه ثلاثمائة ساحر، و استقروا في المكان الذي ستقوم فيه مدينة جني فيما بعد لجؤوا الى مدينة دياغا و استقروا فيها بعدما تزوج دينيا من امرأة منهم. Mamadi Aissa,Traditions légendaires et historiques de l'Afrique occidentale, traduites d'un manuscrit Arabe enidit par :Maurice delafosse, Paris,1913,p15.

([2]) السعدي(عبد الرحمان): تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1981، ص9.

ثلثا: فترة حكم السوننكي:

خلال الفترة التي قتل فيها آخر ملك من البيضان على يد ابن بنتيغي حوالي سنة 790م حدث الافتراق الكبير للسوننكي في واغادو، و هنا قام ملك واغادو في ذلك الوقت و هو كايا ماغان بالتوجه مع عدد كبير من شعبه الى الأوكر و اطاح بابن بنتيغي و اصبح امبراطورا للمملكة غانة رغم تعرضه لمقاومة البيض لكن دون جدوى.

لقد سيطر كاياماغان على غانة و اصبح اقوى ملك في السودان الغربي حسب شهادة ابن خلدون، حيث وسع مملكته غربا الى غاية المحيط الاطلسي. و اصبح الحكم تتداوله اسرة سيسي التي تنحدر من سلالة كاياماغان و اصحت مملكتهم تمتد الى غاية منطقة الساحل شمالا و الى غاية نهر النيجر شرقا و جنوبا الى غاية منطقة التكرور، و الى مناطق وجود الذهب في بلاد الونغارا، و كذا ارض اللملم من الكفار المهملين[1]. لكنها في نفس الوقت كانت في صراع دائم مع قبال لمتونة الصنهاجية بزعامة تيلوتان و ابناهمن بعده، و هذا من اجل السيطرة على مدينة اودغست التجارية. التي سيطرت عليها لمتونة لمدة من الزمن قبل ان يعيدها السود الغانيون سنة 990م.

رابعا:المظاهر الحضارية لغانة:

كانت مملكة غانة تمثل اروع الامثلة في التسامح مع الديانات و الاجناس ألأخرى فيذكر البكري بان العاصمة الغانية كانت تتألف من مدينتين واحدة يسكنها المسلمين و بها12 مسجدا و الراتبون و والمؤذنون ومدينة الملك و المعروفة بالغابة لأنها محاطة بالأشجار، هي اكثر اتساعا من الأولى وموجودة على بعد ستة اميال من المدينة الأولى ويسكنها الكفار و بها الكهنة الوثنيين و دكاكيرهم

(1) الإدريسي(الشريف أبي عبد الله): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،م مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2002م،المجلد الأول ص23. ـ الونغارا هي عبارة عن جزيرة صغيرة في نهر السنغال، طولها يبلغ 300 ميل و عرضها 150 ميل، و هي معروفة بثروتها الذهبية الكبيرة.

(Jacques Giri :Histoire économique du Sahel :Des empires à la colonisation, Karthala éditions, Paris, 1994, p89.)

اي أصنامهم، كما يوجد بها سحرتهم وقبور الملوك، والسجون الملكية المختبئة وراء الاشجار في الغابة لكي لا يعرفها اي احد. و بها مسجدا للمسلمين الذين يفدون على الملك،و كان الملك يتخذ الكتاب و الوزراء و القضاة و المترجم و صاحب بيت المال من المسلمين لثقته بهم.[1] و بهذا يمكن أن نقول بان مملكة غانة كانت لها عاصمتان الاولى سياسية و فيها مقر الملك و الوزراء ، و الثانية عاصمة تجارية يقصدها التجار المسلمين[2].

و كان الملك عندهم رغم استبداده و احتكاره لجميع الصلاحيات إلا انه كان حسبما ذكره البكري حسن السيرة و عادلا و محبا للمسلمين حيث يقول البكري: ((...و اسم ملكهم اليوم وهي سنة ستين و اربعمائة تنكامين، و ولي سنة خمس و خمسين، و كان اسم ملكه قبله بسي و وليهم وهو ابن خمس و ثمانين سنة و كان محمود السيرة محبا للعدل موثرا للمسلمين...))[3]

و كان الملك عندهم يُورث ابن اخته و ليس ابنه او ابن اخيه حيث كان السودان يشكون في نسبة ابنائهم اليهم بينما لا يشكون في صحة نسبة ابن اختهم حسبما قاله البكري[4]. لذلك نجد ان الملك (مين) والملقب بتونكامين (اي المكلك مين) هو ابن اخت الملك بسي الذي سبقه و هو الذي خلفه على العرش[5].

و كان ملك غانة خلال القرن الحادي عشر قبيل غزو المرابطين قوي شديد الشوكة عظيم المملكة مهيب السلطان قادرا على تجنيد مائتي الف(200000) جندي منهم اربعون الف (40000) من الرماة، كما كان جيشه يملك كتيبة من الفرسان [6].

([1]) البكري(ابو عبيد الله ت387هـ): المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك، دار الكتاب الإسلامي القاهرة، د ت، ص175

([2]) جوان جوزيف،المرجع السابق، ص57.

([3]) البكري ، المصدر السابق ، ص 175.نفسه،ص 175.

([4]) نفسه،ص 175

([5]) نفسه،ص 176.   Delafosse(Maurice), OpCit, p40 ;

([6])Delafosse,Op.Cit, p41.

أما مساكن الغانيين فكانت مصنوعة من الحجارة، و هي المدينة الوحيدة من مدن السودان التي ذكرها العرب بأنها مصنوعة من الحجارة[1] و شجر الصمغ، فقصر الامبراطور كان مكون من سور تحيط به من كل جانب أكواخ مصنوعة من الطين و ذات سقف مخروطي مصنوع من القش، و كل ذلك محاط بسور. وبالقرب من المحكمة الملكية وجد هناك مسجد للمسلمين الذين يزورون الملك[2].

كما يذكر الادريسي بأن قصر الملك في غانة الذي بني بعد ذلك خلال اسنة 510للهجرة/116ميلادية، أي بعد الفتح المرابطي لغانة، كان واثق الابنيان محكم الاتقان، و زينت مساكنه بضروب من النقوش و الادهان(أي الصباغة) و شمسيات الزجاج[3].

و كان الملك و ابن اخته ولي عهده هما فقط من يلبسان المخيط من الثياب، بينما يلتحف بقية الاناس بملاحف القطن او الحرير كل حسب قدرته. و كان النساء في غانة يحلقن رؤوسهن[4].

أما فيما يخص القضاء فكان يتولاه الملك، حيث كان الملك يجلس على قبة امام الناس و تحيط به عشرة خيول يلبسونها الذهب، و وراءه يوجد حوالي عشرة غلمان يحملون في ايديهم الدرق والسيوف المصبوغة بالذهب. كما يجلس امامه على الارض والي المدينة و الوزراء يحيطون به. و اذا دق الطبل أذن للناس بان يجتمعوا،بينما يجثو اهل دينه من الوثنيين على ركبهم و نثروا التراب على رؤوسهم كتحية للملك ، بينما يكتفي المسلمين بالتصفيق[5].

و مما يذكره الادريسي عن عدل ملك غانة انه كان يمشي في ازقة العاصمة و يدور بين ازقتها ويتبعه قادة جيشه، يتفقد احوال الناس ، فمن كانت له مظلمة أو شكوى يقف بين يديه و يسمعه حتى يقضي مظلمته ثم يرجع الى قصره وز يتفرق قادته، ثم يعود بعد الظهر عندما تخف درجة الحرارة

([1]) Delafosse,Op.Cit,42.

([2]) البكري، المصدر السابق،ص175.

([3]) الإدريسي(الشريف أبي عبد الله)، المصدر السابق، ص23.

([4]) البكري، المصدر السابق، ص176.

([5]) نفسه، ص176.

ليقوم بنفس الجولة مع قادته ليستمع بنفسه لشكاوي الناس، حيث كان يقوم بهاتين الجولتين كل يوم لتحقيق العدل.[1]

و في المجال الاقتصادي فقد كانت االتجارة هي شريان الاحياة في غانة بسبب سيطرتها على مناجم الذهب في غيارو و بامبوك و ونغارا ، و كذا سيطرتها على الطرق التجارية المؤدية الى مناجم الذهب و الذهب. حيث كانت غانة تفتقد الى الملح الضروري للحياة، فتستورده من الشمال و خاصة من منطقة تاغزة[2] .

كما يذكر ابن حوقل بان ملك غانة كان يهادي ملك اودغست خلال القرن العاشر بسبب حاجته الماسة للملح الموجود في بلده و الخارج اليهم من ديار الاسلام[3]. كما كان يجلب الملح من جزيرة أوليل أو في جنوب تافيلالت بالمغرب الاقصى[4]، أما الذهب فكان يجلب من المناطق الجنوبية مثل ونغارا [5] في الجنوب أو من غادياروأو غاديارا، و هي مدينة واقعة على بعدثمانية عشرة (18)يوما من عاصمة غانة، و هي عبارة عن سوق للتبادل، بينما الذهب فلا يجلب إلا من مناطق جبلية جنوبية تقع على الضفة اليسرى من نهر السنغال الاعلى[6]. و يقول ابن الفقيه بان ((بلاد غانة ينبت فيها الذهب نباتا في الرمل كما ينبت الجزر، ويقطف عند بزوغ الشمس))[7].

و كانت عملية مقايضة الذهب بالملح تتم وفق طرق و قوانين معلومة، فكانت تقوم هذه العملية على مساحة كبيرة على شا طئ نهر السنغال و يضع كل تاجر بضاعته في كومة خاصة به، و كان ملك

([1]) الإدريسي،المصدر السابق، ص ص 23،24.

([2]) جوان جوزيف، المرجع السابق، ص52.

([3]) ابن حوقل(أبوالقاسم النصيبي): كتاب صورة الارض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1996م، ص98.

([4]) Delafosse,Op.Cit, p44.

([5]) يقول دولافوس بان المنطقة التي يطلق عليها العرب اسم ونغارا هي جميعى المنطقة التي تنحصر بين نهر فاليمي والنيجر الاعلى، و التي تضم بامبوك، غانغاران و بوري. (Ibid,p45)

([6]) Delafosse,Op.Cit, p44

([7])ابن الفقيه) مختصر كتاب البلدان، ص87.

غانة يفرض ضريبة دينار من الذهب على كل حمل حمار واحد من الملح على الملح الداخل الى بلاده، و يفرض ضريبة ديناران ذهب على كل حمل حمار من الملح الخارج من بلاده. كما يفرض على حمل حمار واحد من النحاس خمس مثاقيل من الذهب، أما الضريبة المفروضة على بقية السلع فهي عشرة مثاقيل من الذهب.[1] و كان الملك يحتكر لنفسه حتى لا يكثر بين ايدي الناس و تقل قيمته، لكنه بالمقابل كان يترك للناس الذهب المسحوق المعروف بالتبر[2].

و يذكر ابن حوقل بان غنى بعض مدن الجنوب المغربي سببه موقعها على الطريق لاالمؤدي الى طهب السودان مثل مدينة سجلماسة و درعة على وجه التحديد[3] فكان تجار المغرب القادمون من سجلماسة المتوجهون الى مواطن الذهب في بلاد الونغارا يتجمعون في غانة، حيث ياتون من سجلماسة محملين بالسلع التي تضم الملح الذي اشتروه من تغازة في طريقهم، و الخشب اللين ذا الراحة و الذي يستخدم في منح الجلود رائعة حسنة و كذا في جعل الماء المحمول في قربهم عذبا. كما كانوا يحملون معهم اللؤلؤ الأزرق، بالاضافة الى حلقات الاذن و خواتم مصنوعة من النحاس الاحمر.[4] كما كانوا يحملون منها الجمال الوافرة القوية اوقارها[5].

عندما تصل قافلة التجار المغاربة الة غانة يعقدون صفقات مع متعهدين و شركاء، و يتجهزون بالماء المحمول من لمتونة، ويصطحبون معهم الادلاء من جهابذة الصحراء و السماسرة لعقد المعاملات مع اربابق الذهب، ويقطعون طريقا شاقا موحشا تهب فيه رياح السموم باتجاه مصادر الذهب في بلاد الونغارا،ولما يصلون الى الموضع الذي يعد حدا فاصلا بينهم و بين اصحاب التبر من القبائل

([1]) البكري، المصدر السابق، ص176.

([2]) نفسه،ص 176.

([3]) ابن حوقل: المصدر السابق، ص96.

([4])Delafosse,Op.Cit, p46.

([5]) الحموي ياقوت: معجم البلدان،مج2، ص261.

الهمجية[1] يضربون الطبول، يسمعها هؤلاء القوم من السودان يسكنون في كهوف تحت الارض عراة لا يعرفون سترا كالبهائم،و لا يتركون تاجرا يراهم، فيخرج هؤلاء القوم و يضع كل تاجر بضاعته في كومة وينصرف، بعدها ياتي اصحاب التبر و يضعون مقدارا من الذهب امام كل كومة من السلع وينصرفون،ثم ياتي التجار بعدهم فياخذ كل واحد ما وجد بجنب بضاعته من التبر و يتركون البضائع و ينصرفون بعد أن يضربون طبولهم.[2]

و تعرف هذه التجارة بالتجارة الصامتة الذي كان مالوفا بين قبائل السودان الغربي، حيث بقي موجودا حتى على عهد امبراطورية مالي فيما بعد.و حتى في السودان الشرقي حيث كان الاحباش يقايضون النحاس بالذهب عن طر يق هذا النوع من التجارة الصامتة.[3]

خامسا: سقوط و نهاية امبراطوريةغانة:

رغم محاولة بعض الروايات الاسطورية الى ايعز نهاية ممكلة غانة الى لعنة الثعبان المقدس المعروف بواغدو.[4] و يرجعها من بعض المؤرخين الغربيين الى الغزو المرابطي. إلا أننا نرى بأن تراجع غانة وانحطاطها يعود الى مجموعة من العوامل اهمها:

([1]) كانت هذه القبائل تسيطر على مناجم الذهب و يتركون احدا من التجار يصل اليها حيث وضعوا خطا لا يتجاوزه من اراد ان يبتاع الذهب منهم. أنظر: القزويني(زكريا بن محمد): آثار البلاد و اخبار العباد، دار صادر بيروت، د.ت.ص19. المسعودي(ابو الحسن علي بن الحسين)أخبار الزمان و من اباده الحدثان و عجائب البلدان و الغامر بالماء والعمران، الطبعة الثانية، دار الاندلس، بيروت،1960م/1386ه، ص88.

([2]) الحموي ، معجم البلدان ، مج2 ، ص 362.

([3]) شعباني(نور الدين) علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الاسلامي و آثارها الحضارية بين القرنين الرابع والتاسع للهجرة، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1427.1426ه/2005 2006م، غير مطبوعة، ص131.

([4])حول اسطورة واغادو بيدا انظر: Mamadi Aissa,Traditions légendaires et historiques de l’Afrique occidentale , p20 .

أولا: انتشار الهجرة إلى خارج غانة، وخاصة بالنسبة للسكان الوثنيين الرافضين للإسلام والذين عندما اقتنعوا بعدم جدوى الثورة ومقاومة المرابطين فضلوا الهجرة، وكانت هجرتهم نحو الضفة اليسرى لنهر النيجر، و ذلك بحثا عن أراض أكثر خصوبة وحرية(1).

ثانيا: انتشار الفوضى داخل مملكة غانة، إذ بمجرد انهيار المرابطين واستعادة غانة استقلالها حتى عادت الروح القبلية والشقاق، وخاصة في ظل قلة الولاء لأسرة السوننكي الحاكمة، وانتشار الفوضى وقطاع الطرق، الذين أصبحوا يستولون على السكان ويبيعونهم في الأسواق(2).

فبعدما سيطر المرابطون على الأوضاع في السودان لمدة عشر سنوات معتمدين على الجهاد والرباطات والدعوة بدأت تفقد سيطرتها على الوضع وانبثقت الحزازات القبلية التي كانوا قد أضعفوها من قبل، فبدأت قبيلة مسوفة بالتمرد على رئاسة أي زعيم من لمتونة، ثم انتقل الأمر إلى جدالة(3). ثم انتهزت دويلات السودان هذا الخلاف الناشب بين قبائل المرابطين لتعلن استقلالها، حيث استقلت مملكة غانة التي يذكر الإدريسي ملكها بأنه أصبح مستقلا ويخطب لنفسه، لكنه تحت طاعة أمير المؤمنين الخليفة العباسي (4).

فكان لهذان العاملان دور كبير في تغيير الخريطة السياسية لمنطقة النيجر الأعلى والسنغال فظهرت عن تفكك مملكة غانة ممالك سودانية جديدة خرجت من رحم غانة، لكنها نافستها على زعامة السودان الغربي، الذي ظلت متربعة على عرشه لمدة أكثر من سبعة قرون بدون منازع. فلقد كان القرن الخامس للهجرة/11م، هو قرن التحولات الكبرى بالنسبة لمنطقة النيجر والسنغال العلويين.

---

(1) Delafosse (M) : Les noirs de l’Afrique, Editions Payot, Paris, 1941.p48.

(2) Tidiane (N’diaye) , La longue marche des peuples noirs. Edits : Publibook, Paris, 2007, p28.

(3) دندش، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430و 515هـ) /1038 و 1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1408م/1988م. ص136.

(4) المصدر السابق، ص5.

فبالإضافة إلى انتشار الإسلام في المنطقة، فانه شهد ميلاد قوى سياسية جديدة تمخضت عن سقوط غانة، حيث انتقلت السيادة من السوننكي إلى الصوصو، والمالنكي، والسونغاي والتكرور[1].

([1]) Cornevin (Robert et Mariane), Histoire de l'Afrique (des origines à la deuxième guerre mondiale) 4ème édition, Editons : Petite bibliothèque Payot, Paris, 1964, p349.

(39) Fage (J.D) , An introduction to the history of west Africa. Cambridge university press Edition, 1962, p22

المحور الثالث: امبراطورية مالي الاسلامية

يعد المالنكي من الشعوب الأكثر شهرة في منطقة النيجر والسنغال العلويين، ومن أهم مجموعات ماندينغ الوسط خصوصا. وهذا بفضل الدور الذي لعبته بعض الجماعات المندية في تاريخ المنطقة السياسي والاقتصادي وحتى الثقافي، مثل الديولا، البمبارا والونجارة. كما أن شعب المالنكي عرف منذ القدم بأنه شعبا محاربا وغازيا كبيرا، فضلا عن كونه من أكثر الشعوب انسجاما وتنظيما بين مجموعاته المختلفة[1]، ولعل ذلك الدور الذي اضطلع به هذا الشعب، إنما يعود إلى المجهودات التي قامت بها مختلف عشائره التي سكنته منذ أقدم العصور، والتي قدرتها بعض المصادر بحوالي مائة عشيرة، لكن نفس هذه المصادر تركز على أسماء بعينها من العشائر التي تكون أول من ترأس بلاد ماندن القديم وسادت فيه منها عشيرة كوندي،كامارا، وكيتا [2]. ولما كانت بلاد ماندن مقسمة إلى إمارات وعشائر متنافسة فيما بينها، فلقد كان لابد أن تبرز من بينها إمارة على حساب الإمارات الأخرى، و عشيرة على حساب العشار الاخرى، حيث برزت عائلة كيتا الصيادين و سيطرت على كللا العشائر المندية مؤسسة مملكة مالي التي كانت صغيرة ثم سرعان ما فتئت تكبر و تتوسع مشكلة امبراطورية ابتلعت جميع الممالك القديمة و اخضعتها لسيطرتها.

---

(1) سولوماني كانتي. مذكرة تاريخ ماندي القديم و الحديث في الجانب اللغوي.

in revue électronique , Copyright, N°C ; année1999-2000 ; édité par N'ko Institute. Site web : http://www.kanjamadi.com. Consulté le 04-01-2008.

(2) Sory (Camara) : Op .Cit, P 17

أولا : التأسيس:

بعد تعرض إمبراطورية غانة لهجمات المرابطين ضعف ملكها و بدأت تعرف طريقها إلى الزوال. ذلك أنه حتى و إن انسحب المرابطون فيما بعد تاركين الحكم فيها بيد ملوك غانة إلا أن نهايتها كانت وشيكة، حيث بدأت الأقاليم التابعة لسلطانها تنفصل عنها الواحدة تلو الأخرى، بدأت معها مساحة المملكة تتقلص انتهت بسقوط العاصمة كومبي صالح في أيدي حكام قبائل الصوصو الوثنين، الذين كانوا من قبل خاضعين لغانة في أيام مجدها.يقول ابن خلدون في هذا الشأن: ((ثم أن اهل غانية ضعف ملكهم و تلاشى أمرهم و استفحل أمر الملثمين المجاورين لهممن جانب الشمال مما يلي البربر كما ذكرناه، و عبروا على السودان و استباحوا حماهم و بلادهم و اقتضو منهم الاتوات والجزي، و حملوا كثيرا منهم على الاسلام فدانوا به. ثم اضمحل ملك أصحاب غانية و تغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من امم السودان و استعبدوهم و أصاروهم في جملتهم))[1] .

و لقد استفحل أمر الصوصو وكونوا مملكة وثنية قوية على أنقاض إمبراطورية غانة فاستبدوا وبسطوا سيطرتهم على عدد من القبأئل والشعوب المسلمة واستعبدوهم و من هذه الشعوب التي تعرضت لغزو الصوصو شعب (الماندينغ) أو (الماندينغو) الذي تصدى لهجمات و سيطرة ملوك الصوصو المستبدين. و كان هذا الشعب من بين أوائل الشعوب التي اعتنقت الإسلام في السودان الغربي، و هو ما جعل العداوة والكراهية تشتد بينهما،و تعد عائلة (كايتا) زعيمة شعب الماندينغ صاحبة الفضل في التصدي لجبروت الصوصو و حاكمها القوي الذي يدعى (سمنغورو).و بالرغم من اعتناق أسرة كايتا الإسلام في وقت مبكر (1050م/442 هـ)، إلا أن المصادر العربية بقيت تفتقد للمعلومات الدقيقة عن البدايات الأولى لإمارة الماندينغ التي كونت فيما بعد امبراطورية مالي.

([1]) ابن خلدون (عبد الرحمان) عاش بين 732. 808هـ ،كتاب العبر. مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، 1421هـ /2000م. المجلد السادس، ص266.

فابن خلدون يذكر أن أول من أسلم من ملوك الماندينغ و ادى فريضة الحج يدعى (برمندانه)[1]. بينما تبقى أهم المعلومات التي تزودنا بتاريخ تأسيس مملكة مالي مصدرها الروايات الشفوية المحلية المتداولة منذ سبعة قرون، و التي تناقلها شعب الماندينغ والتي تعرفت ب (بلن تيقي). وعلى كل حال فإن المصادر الشفوية تتفق على أن عائلة كيتا إنما تعد من أهم 35 عشيرة مالنكية سكنت مندن منذ أزمنة غابرة جدا، واستقرت حول نهر النيجر، وبالأخصّ في الجزء الغربي منه، وفي شرقي السنغال وجنوبيه، بالإضافة إلى ضفتي نهر غامبيا وغينيا بيساو[2]. وشكلت منطقة نارينا في إقليم دو(Do) مركزها البدائي الذي استوطنته في بداية أمرها[3]،

و مهما يكن فإن إمارة الماندينغ عرفت عدة ملوك أشهرهم (موسى كايتا) الذي يعد المؤسس الحقيقي لعائلة كيتا الحاكمة، والذي كان مسلما وحج عدة مرات، و كان له ابن يدعى (ناري فامغان). و قد عرفت إمارة الماندينغ تحولا كبيرا في القرن السابع للهجرة/13م، حيث كان يحكمها ملك من أسرة كايتا يدعى ناري فامغان (حكم بين 615هـ-628هـ/1218م-1230م) والذي كان له اثنا عشر طفلا وهم : كوتونو نيو غو سيمبا، كابالي سمبا، ماري تانيا غيلي، نوثيي ماري، بيري سيغي، صوصو تولو، لانغاديا، موسوكورو موسوغانداكي، فانتيا ماغانبا، فييندادوغو، كاوماغان كاكابوغاري، كالامبا، ديوكونتو، و أخيرا سوندياتا[4].

وكان الملك(ناري فاماغان) في حرب مع إمارة الصوصو و أميرها الساحر الذي يدعي سمنغورو، وعند غزو هذا الأخير الإمارة الماندينغ قتل جميع أبناء ناري فاماغان ولم ينج منهم سوى الطفل الصغير (ماري دياتا) أو (سوندياتا) ، حيث تقول الرواية أن سمنغورو احتقره و هون من شأنه بسبب عاهته. لقد كان سوندياتا معاقا ولا يقوى على الوقوف على رجليه، فعاش طفولة صعبة و ظل مقعدا لفترة طويلة، وكانت أمه (سوغولون كوندية) موضع سخرية زوجات الملك ناري فاماغان

([1]) العبر، المجلد الخامس، ص496.

[1])عبد القادر سيلا، المسلمون في السنغال. مطابع الدوحة الحديثة، قطر، 1406هـ ، طبعة أولى. ، ص 55.

(2) Zerbo joseph. Kl. ,Le monde Africain noir .C .E.D.A, (Abidjan, 1963, p14)

([4]) Cissé Tata youssouf, Wakamissoko, La grande geste du Mali,Op.Cit,p223

الأخريات.و تمكن في سن السابعة من السير على قدميه بفضل السحرة و أصبح يتزعم أقرابة، ثم اضطر للهرب من الاضطهاد برفقة والدته و شقيقته وتوجه إلى غانة حيث احتضنته مدينة كومبي، كما أعجب به ملك ميما (منسا تونكارا) و أوكل إليه مسؤوليات كبر[1].

استقل سمنغورو المكانة التي حظي بها في منفاه عند ملك ميما ليكون جيشا نظاميا ذاع صيته، فاستدعاه أهل إمارة الماندينغ إليهم فلبى الدعوة، واستقبل سندياتا بحفاوة وحماس كبيرين من طرف شعب المالنكة، و كانت كل عشيرة قد كونت جيشها وانظمت إلى جيشه الذي كان أبرز القواد من أترابه مثل (تابون وانا) وابن عمه (كاماديان). و لما جهز سندياتا جيشه أعلن الحرب على زعيم الصوصو الملك سيمنغورو كانتي قاتل أبيه وإخوته و منتهك حرمة وطنه، و كان ذلك في عام 631هـ/1235م.

و كانت بدايات حرب سوندياتا مع خصمه سمنغورو فاشلة بسبب كثرة عدد جيش الصوصو و قوتهم، بالإضافة إلى أعمال السحر التي كان يتفنن فيها سمنغورو و أتباعه[2]. لكن بعد ذلك استغل سوندياتا عدة ظروف لصالحه، منها التمرد الذي حدث في صفوف سمنغورو إذ انفصل عنه ابن أخيه (فاكولي) بعدما انتزع منه سمنغورو زوجته. كما قامت أخت سندياتا (التي كان سمنعورو قد تزوجها بدون إرادتها) والتي تدعي (نانا ترييان) بالهرب من معسكر الصوصو وهربت معها أسرار السحر التي كان يستعملها سمنغورو في حربه مع الماندينغ. لهذا فقد انضم جيش فاكولي المتمرد إلى جيش سندياتا وعبر نهر النيجر، و بدأت المعركة الحاسمة في كيرينا عام 631هـ/ 1235م التي حطم فيها جيش الصوصو واستولى على أرضهم و وسع حدود المملكة شمالا في الصحراء.

استغل سوندياتا انتصاره الباهر في معركة كيرينا لينتزع ملك الصوصو و ملك غانة الذي يليه إلى البحر. ثم توجه بفتوحاته نحو الشرق في فوتا جالون، و النيجر ومنطقة جني، فما إن دخلت سنة

([1]) نورالدين شعباني، دور عالة كيتا في مملكة مالي الاسلامية بين القرنين الخامس و العاشر للهجرة/11و16م، أطروحة لنيل دكتوراه العلوم في التاريخ الوسيط، جامعة الجزائر2، السنة الجامعية2012/2013م، ص ص 166.165.

([2]) Cissé Tata youssouf, Wakamissoko, La grande geste du Mali,Op.Cit,p223.

638هـ/1240م حتى كان سوندياتا يتربع على عرش إمبراطورية كبيرة. و قام بعقد جمعية عامة في منطقة كوروكنفوقا (قرب كنقابا) و هي إحدى مدن مالي الواقعة على نهر النيجر، واجتمع بكل الماندينغ والمناطق الخاضعة له، و منح جزء من مملكته لكل واحد من حلفائه، كما بايعه زعماء القبائل الخاضعة واعترفت به إمبراطورا.

و بعدما أقام الإمبراطورية رأى سوندياتا بأن مدينة (جليبا) التي تتكون منهما عاصمة المملكة لم تعد تصلح ولا تتسع لبلاطه و نشاط دولته، فنقل العاصمة إلى (نياني) التي تقع في مكان غير بعيد عن جيليبا. و كان قد سجل فيها أعظم انتصاراته على ملك الصوصو، فأعاد بناء المدينة التي كانت في ذلك الوقت عبارة عن خرائب.

ثانيا: تطور إمبراطورية مالي وازدهار:

تعد هذه الفترة أهم أدوار الإمبراطورية، سواء من حيث التوسع الجغرافي أو التنظيم العسكري وانتصاراتها، بالإضافة إلى دورها الحضاري في المنطقة. و كانت سنة 638هـ/1240م، بداية هذا العصر الذي اعتلى فيه (سوندياتا) عرش الإمبراطورية التي أصبح حكمها يمتد على حساب مملكة غانة بعدما ألحقتها بها.

كما بدأت في التوسع باتجاه الشرق حتى بلغت حدود بلاد البورنو، و باتجاه الشمال إلى غاية بلاد البربر، أما جنوبا فقد أصبحت تحاذي بلاد الهمج الوثنين، كما بلغت من جهة الغرب البحر المحيط. و حدد القلقشندى مساحتها نقلا عن العمري بأربعة أشهر طولا أو أزيد وعرضها مثل ذلك. كما اتخذ أمراء الماندينغ لقب (منسا) ومعناه السلطان، وذلك لأول مرة في تاريخهم[1].

وقد سجلت مالي عدة ملوك تعاقبوا على عرشها بدءا بسوندياتا مؤسس الإمبراطورية، مرورا بـ(منسا موسى) الرجل الصالح والملك العظيم، وأخيه سليمان وغيرهم. و كل منهم هيأ عهدا مميزا في تاريخ مالي.

([1]) القلقشندي(أبو العباس أحمد):صبح الأعشى في صناعة الانشا، الجزء الخامس، المطبعة الأميرية بالقاهرة، 1333هـ/ 1915م.

1 ـ عهد سوندياتا : بين 638-653هـ/ 1240– 1255م:

و يعد عهده دور التأسيس و الانطلاق نحو العظمة في نفس الوقت. حيث قام سوندياتا منذ توليه الحكم بتوجيه حملات عسكرية من العاصمة (نياني) باتجاه الغرب، فوسع حدود المملكة و ضم إليها منطقة حقول الذهب الكبرى في (بامبوك). ثم واصل العمليات العسكرية حتي بلغت فتوحاته أسفل نهر السنغال ونهر غامبيا و التكرور، و بذلك أصبحت مالي أعظم و أقوى ممالك السودان الغربي. ولعل هذا الدور الذي بلغته مالي خلال هذه الفترة يرجع إلى المجهودات التي قام بها الملك سوندياتا في سبيل تدعيم صرح الإمبراطورية.

ففي الميدان العسكري أنشأ سوندياتا جيشا نظاميا قويا و مدربا، يقود كل فرقة منه قائد دائم يلقب بـ (كيلي بولون)، بينما يتولى قيادة الجيش العامة الملك شخصيا و يلقب بـ (كيلي تيجي). وكان الجيش ينقسم إلى : الخيالة المسلحة بالسيوف، و جيش المشاة المسلحة بالفؤوس والسهام والحراب الطويلة التي تسمى عندهم (طامبا)، والتي كانت تبعث الرعب في قلوب الأعداء[1].

و في الميدان الزراعي تقول الرواية الشعبية المحلية، أن سوندياتا كان يولي عناية خاصة للتنمية الزراعية، وأنه هو الذي أدخل إلي مالي زراعة القطن و الأراشيد وغيرها من المزروعات، واهتم أيضا بتربية الحيوانات. و في الميدان السياسي فقد نظم أحوال الإمبراطورية بتشكيل جمعية عامة انبثق عنها نظام شبه فدرالي، و ولى على كل جزء من مملكته أحد حلفائه من الماندينغ[2].

و عموما فقد أبهر سوندياتا الماليين و نسجت حول شخصيته أساطير عديدة مازالت تروى إلى غاية الوقت الحاضر. كما تنسب إليه عدة مواهب جعلت منه رجلا خارقا العادة، فهو مقاتل بارع و منظم كفء.

و قد اختلفت المصادر التاريخية حول مدة حكم سوندياتا، فمنهم من يقول خمس وعشرون سنة ، و منهم من يقول حكم مدة عشرين سنة. كما يذهب آخرون إلى أنه لم يحكم سوى خمس

(1) Tidiane N'diaye: La longue marche des peuples noirs. Edits Publibook, Paris, 2007,p31.
(2) Rosa Amelia plumelle - Vribe : Traite des blancs traite des noirs : Aspects méconnus et conséquences actuelles. Editions l'harmattan, paris, 2008, p50.

عشرة سنة، و بالتالي فوفاته تكون بين عامي (1255م/635هـ)و(1265م/664هـ. وكانت وفاة سوندياتا مفاجئة و مؤلمة، حيث تعرض لضربة سهم طائش من قوس ابن صديقه أثناء إقامة حفل للرماية على شرف سوندياتا[1]. و بذالك ينتهي عصر يبقى من أزهي عصور إمبراطورية مالي.

2 . عهد خلفاء سوندياتا :

صحيح أنه إلى غاية القرن 13م/7هـ لم تكن مالي سوى عبارة عن مملكة متواضعة، و أن سوندياتا هو الذي صنع عظمة مالي إلى درجة أن القرن الثالث عشر للميلاد/السابع للهجرة اعتبر عصر سوندياتا. لكن يجب الإشارة إلى أن سوندياتا ترك وراءه جيلا من الملوك الذين خلفوه وحافظوا على هيبة الإمبراطورية و مكانة عائلة (كايتا).

فهناك نوعان من المصادر التي تتحدث عن خلفاء سوندياتا، فمنها الروايات والمخطوطات الخاصة بشعب الماندينغ المعروفة بروايات (كيتا ديوما) والتي قدمت لنا قائمة كاملة لزعماء و حكام مالي. بالإضافة إلى المصادر العربية وأهمها ابن خلدون الذي يعد أول من ذكر قائمة بأسماء ملوك الماندينغ.

لكننا نجد هناك بعض الاختلاف في الأسماء بين ما ذكرته التي ذكرتها الروايات المحلية و ما ذكره ابن خلدون. و هذا يعود ربما إلى كون ابن خلدون عرف أسماء حكام مالي وغانا عن طريق بعض العلماء العرب الذين إلتقاهم بالحج، و منهم الشيخ عثمان فقيه أهل غانة الذي التقى به بمصر عندما كان متجها إلى الحج، والحاج يونس (ترجمان التكرور)، والقاضي أبو عبد الله محمد بن واسول وهو (قاضي من سجلماسة) وغيرهم[2]. و بالتالي عرف تلك الأسماء بلسان عربي يمكن أن يكون محرفا عن الأسماء الأصلية. بينما كان لملوك مالي ألقاب أخرى يلقبون بها عند شعوبهم. ومهما يكن

(1) Valérie Thiers-Thiam :A chacun son griot :Le mythe du griot narrateur dans la littérature et le cinéma de l’Afrique de l’ouest. Editions l’harmattan, Paris, 2004, p62

(2) العبر المجلد السادس، ص267.

فان الترتيب الذي ذكره بن خلدون في أسماء خلفاء سوندياتا يعتمد عليه كثيرا من طرف المؤرخين العرب و حتى الأجانب.

لقد خلف سوندياتا بعد وفاته ابنه (منسا ولي) و مسنا تعني (السلطان) و ولي تعنى (علي) بلسانهم، والذي حكم بين عامي (653هـ-668هـ/1255م-1270م) وكان من أعظم ملوكهم، فقد أدى فريضة الحج في عهد الملك الظاهر بيبرس، كما شهدت الإمبراطورية في عهده اتجاه نجد نحو اللامركزية، بعدما أقطع الأراضي لقادته الكبار.

و بعد وفاة الملك منسا ولي عام 668هـ/1270م خلفه (أبو بكر الأول) الذي كان يحمل لقب (مندي بوري) و التي تعنى انتماءه إلى سوندياتا عن طريق أنثى. و بذلك يكون رأي ابن خلدون هو الأرجح عندما يشير إلى أن سوندياتا لم يكن له أبناء غير منسا ولي، وأن أبا بكر الأول كان ابن بنت سوندياتا.

و على كل فإن أبا بكر الأول تميز بالضعف، و كثرت الخلافات حول العرش في عهده و تلاشت قبضته على الإمبراطورية. لهذا فان وفاة الملك أبي بكر الأول أحدثت غموضا كثيرا في تاريخ مالي. حيث لما توفي الملك أبو بكر الأول عام 683هـ/1285م، واجه البلد مشكلة بشأن من يخلفه على العرش.

و في ظل هذه الفوضى ظهر رجل من القادة العسكريين، - و الذي كان من الموالي العبيد في السابق قبل أن يتحرر و هو (سكورة) الذي استولى على الحكم عام 683 هـ/1285م،- و نصب نفسه إمبراطورا جديدا على مالي. فلقد أحدث استيلاء سكورة على عرش مالي انقطاعا لحكم أسرة كيتا دام خمس عشرة سنة (من 683 هـ إلى 700 هـ/ 1285 م إلى 1300 م)، حيث يعد أول إمبراطور لمالي لا ينتمي إلى عائلة كايتا.

لكن الأحداث أثبتت أنه كان ملكا كفءا ، بارعا في الحرب وفي السياسة. واستطاع أن يعيد لمالي هيبتها، وعمل على توسيع رقعتها أكثر، حيث مدد حدودها شرقا على حساب مملكة (كوكو) حديثة الظهور أنذالك، أما غربا فقد ضم منطقة (مسينا)، و أصبح ملك التكرور تابعا له. كما تميز

سكورة بالتقوى و شهد له بالحج أيام الملك الناصر. واستطاع أن يعيد لمالي الأمن و الاستقرار، وقضى على دابر الفوضى إلى أن توفي عام 700 هـ/1300م، حيث قتل عندما كان عائدا من الحج عند منطقة (تاجورة) قرب طرابلس. و قام رفقاؤه في السفر بتحنيط جثته و وضعوها في جلد ثور، و نقلوها إلى بلاد الكانم بورنو، التي بعث ملكها بمن يحمل جثته لتدفن في مالي[1].

و رغم وفاة سكورة تمثل نهاية ملك حاول الحفاظ على قوة الإمبراطورية و تماسكها، إلا أنها كانت فرصة لعودة الحكم مرة أخرى لعائلة كيتا. حيث تقول المصادر العربية أنه بعد وفاة سكورة توالى على عرش مالي كل من الملك (قو) ثم من بعده ابنه (محمد بن قو)، إلى أن انتقل الملك بعد ذلك إلى (أبي بكر الثاني) و هو ابن أخ سوندياتا، بينما لا نجد ذكر للملكين الذين سبقا أبا بكر الثاني عند المراجع الأجنبية و لا حتى الروايات الشعبية المحلية المعروفة باسم (كيتا ديوما)[2].

و قد تولى عرش مالي أبو بكر الثاني في عام 703 هـ/1303م الذي اشتهر بطموحه الكبير الذي أدى به في سنة 710هـ/1310م إلى تجهيز مائتي سفينة و أرسلها إلى المحيط الأطلسي من أجل الاستطلاع والبحث عما يوجد وراء هذا البحر الذي كان يطلق عليه آنذاك اسم (بحر الظلمات)، وبعد فترة لم تعد سوى سفينة واحدة من السفن التي أرسلها، لذلك أرسل بعد ذلك ألفي سفينة أخرى، لكن هذه المرة لم تعد و لا سفينة.

و هكذا راح الملك أبو بكر الثاني ضحية طموحه مع السفن حيث اختفى التي أرسلها و لم يعد. وبالتالي شهدت الإمبراطورية بعده عهدا جديدا عندما تولى الحكم فيها الملك المشهور (موسى كاكان) ابن أبي بكر الثاني.

أ.عهد موسى كاكان (منسا موسى) بين 707هـ إلى 729هـ/1307إلي 1329م

([1])ابن خلدون (عبد الرحمان):.كتاب العبر. مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت، لبنان، 1421هـ /2000م، مج7، ص

([2])Delafosse (Maurice) :Haut senegal-Niger,tome2,Op.Cit. p186

هناك اختلاف بين المؤرخين المعاصرين حول تحديد بداية عهد منسا موسى، فهناك من يحددها بسنة 707هـ/1307م بينما يحددها آخرون سنة 712هـ/1312م. و لعل ذلك اختلاف مرده إلى الغموض الذي انتهي إليه مصير أبيه أبي بكر الثاني خلال رحلته إلى المحيط الأطلسي. ذلك أن الملك منسا موسي لم يتول عرش مالي حتى انقطعت أخبار أبيه أبي بكر الثاني. و يصنف عهد مسنا موسى بأكثر العهود ازدهارا وشهرة في تاريخ السودان خلال العصور الوسطى، و ذلك نتيجة للدور الذي قام به هذا الملك.

كان منسا موسى بن أبي بكر رجلا صالحا و ملكا عظيما، أدى فريضة الحج عام 724هـ/1323م فكان يعتق نفسا كل يوم. و يحكى عن هذا الملك الذي كان يلقب أيضا بـ (موسى كاكان) أو (كنكن موسى) أنه لما خرج إلى الحج في أحد المواسم حمل معه قوة عظيمة، ومالا عظيما وجيشا عرمرما و معه ثمانون ألفا من الجند وخمسمائة من النسوة وثمانية آلاف وسبعمائة من العبيد، وقيل ستون آلف رجل وخمسمائة من العبيد[1].

أما أعماله العسكرية فقد كانت مهمة و كثيرة، فكان أول ما قام به هو بناء جيش قوي حتى أصبح لديه أقوى جيش في السودان الغربي كله خلال تلك الفترة، و بعد أن فتح مناطق واسعة في الغرب حتى المحيط الأطلسي توسع باتجاه الشرق إلى أن وصلت حدود مملكته مشارف بحيرة التشاد.

ولما كان يدرك الأهمية الحيوية التي كانت تلعبها مناطق التقاء الطرق التجارية من الناحية الاقتصادية والسياسية، فإن منسا موسى قام بالسيطرة على مملكة سنغاي عام 717هـ/ 1325م، بحيث استغل أمير جيشه الملقب بـ (سقمان) فرصة غياب ملك سنغاي (ديا أسيبا) عن المملكة لأداء فريضة الحج، فاستولى على جاو، و قدمها هدية لمنسا موسى لما عاد من الأراضي المقدسة، بعدما أخذ أميري سنغاي كرهينتين، فحول منسا موسى اتجاه سيره من نياني (عاصمة مملكته) إلى جاو (كوكو) التي دخلها فاتحا أين استقبله أمراؤها و قدموا له فروض الطاعة والولاء[2].

([1])Mahmoud kati : Tarikh el fettach ou chronique de chercheur .
Traduit en français par : O. Houdas et M. Delafosse. Paris Ernest Leroux éditeur, Paris, 1913,

([2]) ابن خلدون، المصدر السابق، ص267.

و واصل منسا موسى فتوحاته حتي أصبحت الإمبراطورية تضم كل التجمعات البربرية الواقعة جنوب الصحراء، وامتدت سلطة ملكه جنوبا إلى غاية غابات غينيا، وشرقا حتى بلاد الهوسا. و من أعماله التوسعية العظيمة فتحه لمدينة تمبكتو، إذ يعد أول من دخلها فاتحا من ملوك مالي وجعل خليفة له فيها، وابتنى بها دارا للسلطنة فسميت بـ (مع دك) ومعناها في لغة المالينك دار السلطان، كما بنا صومعة الجامع الكبير بها[1].

وقد اعتنى منسا موسى ببناء تمبكتو حتى أصبحت البلد الأم للتجارة في بلاد السودان في العصور الوسطى. كما أصبحت مالي في عهده محطة علمية بقدوم الفقهاء والأدباء والعلماء، و كان منسا موسى من أكبر الدعاة للإسلام أيضا.

أما دبلوماسيا فقد أخرج منسا موسى مملكة مالي من عزلتها واكسبها سمعة دولية، حيث ربط علاقات دبلوماسية مع سلاطين القاهرة و المغرب الأقصى اللذين كان لهم سفراء في بلاط ملك مالي. كما كان لهذا الأخير سفراء في القاهرة و مراكش. فبفضل منسا موسى نال اسم مالي شهرة كبيرة في الأندلس و مراكش وخراسان، إذ أنه في سنة 731هـ/1339م، وجد اسم مالي مكتوبا على خرائط العالم التي وضعها الجغرافي الإيطالي (أونجيلو دولسرت)، كما وجد في الأطلس الجغرافي الذي وضعه (أبراهام كريسك) لشارل الخامس ملك فرنسا، و فيه اسم مالي مرسوم بوضوح.

كما سجل الرحالة و التاجر الإيطالي (مالفنت) في مذكراته أن جمهورية ايطاليا كانت تطمح للاتصال بمالي والتعاون معها في عهد منسا موسى. و هكذا استطاع هذا الملك أن يعيد مجد مالي ويحافظ على استمرارها.

أما تاريخ وفاته فمن المرجح أن يكون قد توفي سنة 733هـ/1332م، و ذلك لأن خليفته على العرش وهو ابنه (منسا مغا) هلك بعد أربع سنوات من الحكم، و ولي بعده شقيقه (منسا سليمان) بن أبي بكر الثاني.

([1]) السعدي(عبد الرحمان):تاريخ السودان.طبعة هوداس، باريس،1964، ص7.

و قد تركت وفاة منسا موسى فراغا رهيبا في مالي، حيث عمت الفوضى بمجرد تولي ابنه (مسنا مغا) الحكم وذلك بسبب افتقاده لصرامة أبيه و حزمه. و عرف بالتساهل في إدارة شؤون المملكة، وهو الشيء الذي مكن ابنا ملك جاو الرهينتين من الفرار، كما وقع في عهده نهب مدينة تمبكتو على يد الموسيين. و بعد وفاة منسا مغا، تولي العرش بعده (منسا سليمان) بن أبي بكر وهو أخو منسا موسى الذي اجتمع له ما كان أخوه قد افتتحه من بلاد السودان[1].

ورغم صفة البخل التي تميز بها منسا سليمان، إلا أنه استطاع إصلاح شؤون البلد المالية، وأعاد الأمن إلى المملكة إذ لم يكن يسامح أحدا في أي جانب منه، كما استعاد السيطرة على الولايات الشرقية، وأصبح في عهده رؤساء الطوارق في تكدا يعترفون بسلطانه و يدينون له بالولاء، فاستفادت بذلك المملكة من نحاسها[2].

كما واصل سيرة أخيه نشر الإسلام و بناء المساجد و الجوامع و المنارات و حرص على صلاة الجماعة وإقامة الأذان. حكم منسا سليمان بين سنتي 724هـ و762هـ /1341 م و1360م، أعاد خلالها مجد المملكة الذي ميز فترة حكم أخيه، و حافظ على العلاقات الدبلوماسية التي ربطها منسا موسى مع ملوك المغرب الأقصى[3].

وبوفاة منسا سليمان عام 762هـ/1360م دخلت المملكة في عهد جديد من الفوضى والصراع حول العرش الذي أدى إلى سقوطها.

([1]) ابن حجر العسقلاني: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الجزء الأول، دار الجيل،بيروت،لبنان، 1414هـ/1993م ،ج4، ص384. Delafosse :Op.Cit, p189

([2])Trimingham (Spencer) : The history of Islam in west Africa. Oxford university press,London, 1963

([3]) ابن خلدون:المصدر السابق، ص 268.

ثالثا: سقوط إمبراطورية مالي :

إن بداية انحطاط إمبراطورية مالي كانت مع وفاة منسا سليمان، حيث خلفه ابنه (قنبتا بن سليمان)، و يلقب أيضا بـ (كاسا سليمان)،والذي حكم فترة قصيرة قدرات بتسعة أشهر فقط، ثم ولي بعده (ماري جاطة بن مسنا مغا بن منسا موسى) والذي حكم مدة أربعة عشر عاما.

وكان ماري جاطة هذا شر الناس حسب ابن خلدون ، حيث أساء السيرة و أفسد ملك مالي وأتلف ذخائر البلاد، بكثرة إسرافه وتبذيره إلى درجة أنه قام ببيع حجر من الذهب تزن عشرين قنطارا إلى تجار من مصر بأبخس الأثمان، رغم أن تلك الحجرة كانت تعد أنفس ذخائر ملوك السودان نظرا لندرة وجود مثلها. كما اشتهر بالكسل وعدم اكتراثه بشؤون البلاد إلى أن توفي عام 776هـ/1374م، حيث أصابته في أخر أيامه علة النوم والشعور بالنعاس، وهو مرض كثير ما كان يصيب أهل تلك البلاد، واستمر به المرض لمدة سنتين إلى أن توفي.

بعد ماري جاطة خلفه ابنه موسى الثاني، الذي حكم مابين (776هـ و789هـ/ 1374م و1387م والذي حاول أن يعيد الإمبراطور إلى نصابها عن طريق تطوير الإدارة والعدالة. لكنه تغلب عليه وزيره (ماري جاطة) الذي كان يتصرف بشؤون الدولة كما يشاء، و تحكم في مقاليد الحكم، وقام بتدبير أمور الدولة أحسن تدبير، كما قام هذا الوزير بغزو مدينة تكدا الغنية بالنحاس، وقاد حملة إلى بلاد البورنو وحملة أخرى على الطوارق[1] .

و رغم استيلاء ماري جاطة على السلطة إلا أنه أبقى على الملك موسى الثاني و لم يزحه عن العرش إلى أن توفي عام 789هـ/1387م.

و بعد وفاة موسى الثاني، قامت نزاعات واغتيالات من أجل الاستحواذ على السلطة بين الأشقاء والأقارب أدت إلى انهيار المملكة، حيث انتقل الحكم إلى أخيه (منسا ماغا الثاني) الذي قتل بعد سنة واحدة من توليه الحكم. ثم استولى على الحكم زوج أمه و المسمى بـ (صندكي) ومعناه

([1]) ابن خلدون ، العبر، المصدر السابق، ص265.

الوزير، ثم قتل بعد أشهر من طرف رجل من بيت ماري جاطة و خلفه رجل اسمه (محمد)، و يدعي انتسابه إلى (منسا قو بن منسا ولي بن ماري جاطة) و ذلك عام 793هـ/1390م.

وفي هذه الفترة من الضعف والنزاعات الداخلية، ظهرت قوة كوكو (جاو) التي أخذت تضم ولايات مالي الواحدة تلو الأخرى إلى أراضيها حتي استولت على جني وهي إحدى المراكز التجارية الهامة لمالي.

إن الانحطاط بعد ذلك كان سريعا، فمنذ أواسط القرن الثامن للهجرة/14م بدأ ملوك الطوارق يشنون هجمات على تمبكتو أمام عجز أحفاد سندياتا على مقاومتهم، فسقطت تمبكتو تحت سيطرة الطوارق عام 838هـ/1435م. كما سقطت قبل ذلك العاصمة المالية نياني أمام هجمات ملوك سنغاي عام 802هـ/ 1400م.

وتوالت غارات ملوك جاو على الأراضي المالية حتى بنوا إمبراطورية سنغاي على أنقاض إمبراطوريتهم رغم محاولات أحد ملوك مالي وهو (طنغولا الأول) التصدي لهجمات ملوك سنغاي وتحالفه مع ملك البرتغال (جون الثاني)، لكن إمداداته لملك مالي لم تصل أبدا.

عموما فإن مملكة مالي استمرت في الوجود إلى غاية القرن العاشر للهجرة/16م. لكن على مساحة ضيقة جدا، إلى أن تم احتلالها كلية من طرف ملك الإسقيين و هو (الأسقيا داود) و ذلك عام 1055هـ/ 1645م. لهذا نستنتج بأن ضعف إمبراطورية مالي صنعته عدة عوامل وأسباب يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولا: ضعف شخصية الملوك الذين خلفوا منسا سليمان، و الذين أصبح همهم الوحيد هوا لتنافس والتنازع على العرش، فأدخلوا البلاد في دور الفتن و الفوضى و الاضطرابات.

ثانيا: هجوم قبائل الموسي الوثنيين على المملكة واستيلائهم على تمبكتو، التي تعد أهم قواعد المملكة من الناحية التجارية والثقافية، بالإضافة إلى فقدان مالي لبعض مناجمها المعدنية الهامة مثل مناجم النحاس تكدا ومناجم الذهب بغلام في الجنوب. و بالتالي فقدت إحدى عوامل قوة اقتصادها.

ثالثا: هناك سبب يركز عليه ابن بطوطة ألا و هو شيوع فساد الأخلاق في المجتمع المالي، وانغماسه في الملذات إذ انتقلت إلى كبار القوم من قضاة و فقهاء.

ومهما يكن من أمر فإن إمبراطورية مالي ما هي إلا نموذجا للدول التي ظهرت في السودان الغربي خلال الفترة الممتدة بين القرنيين الرابع والتاسع للهجرة، و هي الفترة التي تم فيها امتداد الحضارة العربية الإسلامية، فشملت هذا الجزء من العالم حيث تجسدت فيها مظاهر الحضارة الإسلامية السودانية، التي بدأت ملامحها الأولى تظهر عن طريق إمبراطورية غانة، و نضجت على أيدي ملوك مالي، واحتذى بهم ملوك الدول المجاورة ككانم بورنو و سنغاي.

المحور الرابع: مملكة سنغاي الاسلامية

رغم أن هذه المملكة تعد أعرق وأقدم ممالك نهر النيجر على الإطلاق إلا أن دورها البارز في المنطقة لم يبدأ إلا في أواخر القرن الخامس للهجرة، وذلك بصعود فرع قبائل السنغاي الصيادين إلى النيجر الأعلى[1] واعتناقهم الإسلام، فأصبحت مملكتهم المجاورة لإمبراطورية غانة والمعاصرة لها من الدول المؤثرة في المنطقة.

إن كلمة"سونغاي" تطلق على شعب وعلى منطقة في آن واحد[2].فبلاد السونغاي تتكون اساسا من شمال منحنى النيجر و بالضبط في الجزء من النهر الذي يتجه نحو بحيرة ديبو عند مصب نهر بنين كبي في نيجيريا[3]. أي الضفة الشرقية لنهر النيجر انطلاقا من الحدود الحالية للنيجر، إلى غاية منطقة كوكيا عند انحناء نهر النيجر، مرورا بمنطقة داندي القديمة[4]. أما قاعدة ملكهم الأولى و مقر العشيرة الحاكمة الأولى فكانت مدينة كوكيا، قبل أن تنتقل إلى الشمال إلى مدينة كوكو أو"كاوكاو"التي كانت قبل ذلك مركزا تجاريا[5].

أما الشعب الذي تنسب إليه المملكة، فهو من الشعوب السودانية في الأصل، لكن امتزج مع عناصر أخرى من البربر، والعرب، واليهود،والفلاتة[6]، بالإضافة إلى مجموعات أخرى من "الغورمانشي" و"الموسي"، وهم الصيادون البرّيون، والقادمون من الغابات الاستوائية، وكذا مجموعة

---

(1) نياني(تمسيرجبريل)، المرجع السابق،ص 133 .- Delafosse(M), Les noirs de l`Afrique, p53

(2)Trimingham (Spencer) ,Op.Cit, p84

(3) Rouch(Jean) :Les songhay, Monographie ethnologique, Presse universitaire de France, Paris, 1954, p1 .

(4) لا توجد داندي هذه في خرائط اليوم، لكنها كانت متواجدة شمال نيامي الحالية. أنظر: - Trimingham (S) :OP.Cit, P48
Barth (Henri) :Op.Cit, p10

فيج (جون.د)، تاريخ غرب إفريقيا.ترجمة و تعليق:السيد يوسف نصر، دار المعارف ، القاهرة ، طبعة أولى 1982، ص62 .

(5) Trimingham(S),OP.Cit, P48 - Delafosse(M) ,H S-N, tome2; p60

(**6**)Ibid, p289

"السوركو أو السورخو" القادمين من شرق النيجر وهم من الصيادين النهريين(1). والذين كانوا أول من استقر في منطقة "كوكيا"، وذلك قبل القرن السادس للميلاد، واستطاعوا بسط سيطرتهم على طول نهر النيجر الأعلى(2).

أولا: تأسيس المملكة:

وكان الظهور الأول لمملكة سنغاي يعود إلى القرون الميلادية الأولى، حيث يرى دولافوس بأن تأسيس مملكة سنغاي الأولى يرجع إلى القرن السابع للميلاد/ الأول للهجرة(3)، وذلك عندما كانت جماعة من السكان وهم الصيادون النهريون المعروفون بالسوركو (Sorko) تستغل سهولة المواصلات النهرية بفضل قوارب الصيد، لفرض سيطرتهم السياسية على نظرائهم من السنغاي المزارعين المعروفين باسم "غابيبي (Gabibi)(4). حيث كانت عشائر السوركو الصيادين تشن هجمات وغزوات على جيرانهم الفلاحين مستعملين قواربهم، إذ يخطفون وينهبون مخازن غلاتهم من الحبوب والخضر، ويستولون على متاعهم، ويقتلون كل من يعترض طريقهم، ثم يهربون. وذلك لأن السوركو لم يكونوا مزارعين، فيلجأون إلى هذه الطريقة لتوفير غذائهم (5). وبهذه الطريقة أقامت قبائل السوركو عدة مستوطنات على طول ضفة نهر النيجر، فارضين سيطرتهم على المزارعين، وتوغلوا شمالا حتى وصلوا إلى منطقة كوكيا أوكونكيا(6).

وفي هذه الأثناء وصلت جماعة من المهاجرين وهم من بربر لمطة، قادمين من طرابلس إلى كوكيا أين استقبلهم السونغاي المزارعين، ورحبوا بهم، وأكثر من ذلك منحوهم نسبا شريفا معتقدين بأنهم

---

(7) Ibid, p284

(1) Trimingham,Op.Cit,pp 84 ,85.

(2على باري وكريدية ، المرجع السابق، ص 110.. ويذكر (Trimingham ,Op.Cit, p84) بأن السوركو كانوا موزعين على عشيرتين هما: "فاران" و" فونو"

(3) يقول دولافوس(المرجع السابق،ص242) أن كوكيا تقع في جزيرة "بنتيا" في نهر النيجر ، بينما يذهب السعدي(المصدر السابق،ص4) إلى أن كوكيا قديمة جدا ،و هي واقعة في ساحل البحر(يقصد نهر النيجر) في أرض سغي.

(4)Delafosse(M) ,Op.Cit,p240

سوف يكونون حلفاء لهم ضد الغزاة من الصيادين السوركو[1]. وكان زعيم اللمطيين هذا يدعى "زا الأيمن" أو "زا اليمن"، والذي حسب السعدي اشتق اسمه من اليمن، إذ قيل بأنه خرج هو وأخوه من أرض اليمن سائرين في أرض الله تعالى حتى انتهى بهما القدر إلى بلد كوكيا، وقد وصلاها وهم في بئس الحال حتى كادت صفة البشرية تزول عنهما من الوسخ والعري، حيث كانت أجسادهما عارية لا تكسوها إلا خرق الجلود. فلما وصلا إلى كوكيا سألهما أهل البلد عن المكان الذي جاءا منه فقال الأخ الأكبر جاء من اليمن، فأصبح أهل كوكيا يرددون "زا الأيمن"مغيّرين الّلفظ لتعسّر النطق به لديهم[2].

قام زا الأيمن وأصحابه بمحاربة السوركو الساكنين بجزيرة كوكيا، وطردوهم منها واستقروا بدلهم هناك، ثم قام السنغاي المزارعون بتنصيب زا الأيمن أو "ديا اليمن"(كما يسميه آخرون) ملكا عليهم، وأدّوا له يمين الطاعة كمكافأة له على تخليصه لهم من السوركو. بعد ذلك امتدت سلطته على كل السنغاي الساكنين بين جزيرة "بنتيا" إلى غاية كبيي (Kebbi)[3].

وهناك رواية أسطورية يذكرها السعدي تتعلق بوصول زا اليمن إلى كوكيا وتنصيبه ملكا عليها ومفادها أن أهل كوكيا المزارعين كانوا وثنيين يعبدون وثنا هو عبارة عن شيطان تمثل لهم في صورة حوت يعيش في النهر، وكان يأمرهم وينهاهم فيأتمرون بأوامره، ويتجنبون نواهيه، فلما رأى زا اليمن هذا الضلال منهم، قرر قتل هذا الحوت، فرماه بسهم من الحديد في يوم حضورهم إليه فقتله، وخلّصهم منه، فبايعوه وجعلوه ملكا، وكان مسلما[4]. ورغم أن دولافوس يورد هذه الحادثة ويصدقها، ويذهب إلى أنها حدثت سنة 690 ميلادية[5]، لكنه يرى في نفس الوقت بأن السعدي استعمل هذه الأسطورة كتعبير رمزي فقط للتعبير عن الظلم الذي كان يمارسه السوركو من نهب وسلب على

([2]) السعدي،المصدر السابق، ص4

([3]) كبي Kebbi :هي ولاية تقع شمال غرب جمهورية نيجيريا الحالية، عاصمتها هي "بيرنين كبي Bernin Kebbi ".

([4]) المصدر السابق، ص4

([5]) Les noir de l’Afrique, p53

المزارعين في كوكيا[1]. لكنه يختلف مع السعدي حول الأصل اليمني لزا الأيمن ومرافقيه، بل ويختلف معه أيضا حول إسلامهم، ويرجح أنهم كانوا مسيحيين[2].

أما المصادر العربية فأنها لا تشير إلى أصل مؤسس إمارة كوكيا، إن كان عربيا أو بربريا، أو كان أسودا أم أبيضا، باستثناء المسعودي الذي يشير إلى أن الكوشيين من أبناء حام بن نوح الذين هاجروا باتجاه المغرب، وعاشوا وراء شرق إفريقيا في بلاد البجة، والنوبة، والزنج، تضمنت هجراتهم أيضا إلى أرض زغاوة وكاوكاو[3].

ورغم أن عبد الرحمان السعدي يعد أهم المصادر التي تحدثت عن بداية تاريخ مملكة سنغاي، وأغزرها من حيث المعلومات، حيث أخذ عنه جل المؤرخين الغربيين، إلا أنه لم يذكر شيئا عن تاريخ بداية حكم زا الأيمن في كوكيا، ولا عن اسمه الحقيقي قبل أن يلقبه أهل لمطة بهذا الاسم، حيث يقول: ((ولا نعلم من ابتدأ منهم، ولا تاريخا لخروجه من اليمن، ولا لوصوله إليهم، ولا اسمه، وبقي اللفظ (أي لقب زا – اليمن) علما له وصار لقبا لكل من تولّى بعده من الملوك))[4] . لكن إذا ما علمنا بأن مدينة كوكو أو "جاو" التي تأسست بعد قدوم زا – الأيمن إلى كوكيا كانت موجودة في عهد اليعقوبي الذي ألف كتابه عام 258هـ /872 م، حيث يذكرها على أنها من أعظم ممالك السودان، وأجلها قدرا، وأعظمها أمرا وكل الممالك تعطي لملكها الطاعة[5]. كما نجدها مذكورة عند ياقوت

([1]) Haut Sénégal- Niger, tome 1 ,p241.

([2]) Ibid,p241.

يركز دولافوس (Haut S- N, tome2, p60) على الأصل البربري لزا الأيمن وأصحابه، وينسبهم إلى بربر لمطة، ويرى بأن ما يدعيه السعدي من أن اسمهم مشتق من كلمة "جاء من اليمن" غير صحيح ويرجح بأن الهدف من تلك الأسطورة وذلك التفسير الذي رواهما السعدي هو مجرد مكافأة لزا الأيمن ومرافقيه لتخليصهم من بطش السوركو، بحيث أعطوهم هذا النسب اليمني الذي يعد نسبا شريفا.

([3]) أخبار الزمان، ص ص 90 و91. و نشير هنا إلى أن زغاوة هي التي تقصد بها المصادر العربية كوكيا

([4])المصدر السابق، ص 5 .

([5]) اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب)، تاريخ اليعقوبي.دار صادر، بيروت،1960، المجلد الأول، ص 191.

الحموي في معجمه الذي نقل معلوماته عن المهلبي الذي كتب مؤلفه سنة 374هـ/ 985 م[1]، فان ذلك يقودنا إلى الاعتقاد بأن تأسيس أول مملكة لسنغاي بكوكيا من طرف زا الأيمن يكون قبل القرن الثالث للهجرة/التاسع للميلاد.

ومهما يكن فان عدد مهم من السوركو لما طردوا من كوكيا، توجهوا خلال هذه الفترة إلى نحو نهر النيجر الأعلى لتأسيس مستوطنات جديدة، فقام أحد الصيادين السوركو يدعى "فارام بر" أو" فاران الأكبر" بتأسيس مدينة "جاو" **أو** "كوكو" .وهي عبارة عن مملكة صغيرة مستقلة، بينما قامت عشيرة أخرى من السوركوو هي عشيرة "فانو"بالتوجه منطقة بيرام والاستقرار بها[2]. وكان خلفاء فاران بر في صراع دائم تقريبا مع الزعماء اللمطيين من خلفاء زا الأيمن في كوكيا، إذ أن أحد الأمراء السوركو وهو كوبي – تاكا (Kobé-Taka) قتل في إحدى المعارك التي جرت في الضفة اليمنى لنهر النيجر مع أمراء كوكيا، فحاول ابنه فاران– نابو(Faran-Nabo)أو نابونكي (Nabonké) الثأر له، لكنه بعدما حقق بعض الانتصارات على أمراء لمطة وفرض سيطرة ظرفية على شمال جنوب جاو، سرعان ما تم دحره وانهزم على يد خلفاء زا الأيمن من بربر لمطة، فترك لهم جاو التي غادرها[3] .

ثانيا: المظاهر الحضارية لسنغاي:

كانت جاو أو كوكو تتمتع بخصائص استراتيجة، جغرافية، اقتصادية وعمرانية أهم بكثير من العاصمة كوكيا، حيث تحولت إلى مركز تجاري كبير منذ أواخر القرن السادس للهجرة/9م. فنجد في أسواقها ملح الصحراء، وسلع مصر وليبيا وإفريقية.[4] كما كانت تربطها علاقات تجارية مع إمارة ورقلة التي تعد أقدم مركز تجاري يوجد على الحدود الشمالية للصحراء[5]. وكانت كوكو محطة للقوافل التجارية المتجهة نحو شمال إفريقيا عبر منطقة كيدال بأدرار، أو القادمة من تادمكة، وتلك القادمة من

([1]) الحموي(شهاب الدين)، معجم البلدان. مطبعة السعادة، مصر، 1906م، طبعة أولى، المجلد السابع، حرف "الكاف"، ص ص 301 و 302.

([2]) Delafosse (M),H S-N, tome 1, p241.
([3]) Ibid, p241.
([4]) Lilliane(Prévost) et Isabelle (De courtilles) , Op.Cit, p13
([5]) Barth(Henri) :Op.Cit,p11

مصر وشمال إفريقيا.[1] ما أنها أضحت قبلة للدعاة والفقهاء أيضا[2]. وهذا الموقع الاستراتيجي والدور الاقتصادي الحيوي الذي أصبحت تحظى به مدينة جاو كان جديرا بأن يلفت انتباه ملوك كوكيا نحوها. لذا فبعدما كانت كوكيا عاصمتهم الأولى، وقاعدة حكمهم لمدة ثلاثة قرون، نقلوا عاصمتهم إلى جاو التي ستضل عاصمة مملكة سنغاي، وكذا الإمبراطورية السنغائية التي قامت بعد ذلك على أنقاض إمبراطورية مالي[3]. وبانتقال السنغاي إلى عاصمتهم الجديدة جاو أو كوكو تبدأ المرحلة الهامة من تاريخهم، وذلك مع أواخر القرن الرابع للهجرة/10م[4] .

إن هذه المرحلة تعد أكثر المراحل شهرة بالنسبة لتاريخ مملكة سونغاي [5]، حيث تكلمت المصادر العربية عن ازدهار المملكة وعاصمتها الجديدة المعروفة بجاو (أو كاوكاو أو كوكو)، على خلاف المرحلة السابقة أثناء وجودها في كوكيا. فنجد مؤرخي الرابع والخامس الهجريين قد زوّدونا بمعلومات قيمة حول كوكو والدور الذي أصبحت تضطلع به، ليس بالنسبة لمملكة سنغاي فقط، وإنما بالنسبة للسودان الغربي ككل. فاليعقوبي المتوفى سنة292هـ/905 م، يقول عنها أنها كانت في عصره من أعظم ممالك السودان وأجلها قدرا وأعظمها أمرا. وكانت الممالك تعطي لملكها الطاعة، وهناك عدة ملوك تابعين لملك كوكو ويعطونه الطاعة ويقرون له بالرئاسة، رغم أنهم كانوا ملوكا لبلدانهم، ومن هؤلاء يوجد ملك المرو، ملك مردية، ملك الهربر، ملك صنهاجة، ملك تذكير، ملك الزيانير، ملك أرور، وملك بقاروت. وكلهم ينتسبون إلى مملكة كوكو[6].

([1]) Trimingham(S) :Op.Cit,p p 84 et 85

(**3**) 'لشكري (أحمد)، المرجع السابق، ص 103.

4) المصدر نفسه، ص 102.

([4]) الدالي(الهادي مبروك)،التاريخ سياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء.من نهاية القرن15الى القرن18م. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، طبعة أولى، 1999م، ص 95.

([5]) خلال هذه المرحلة بلغت شهرة ملوك جاو القارة الأوربية ، حيث ربطت علاقات دبلوماسية مع ملوك الأندلس بإسبانيا.

أنظر : Cornevin (Robert et Mariane) ,Op.Cit, p162.

([6]) تاريخ اليعقوبي، الجزء الأول، ص191

أما ياقوت الحموي فرغم انه توفي عام 626هـ/1229م إلاّ أنه نقل معلوماته حول كوكو وملوكها عن المهلبي الذي كتب عنها عام 374هـ/985 م، بحيث يقول بأنها كانت بها مدينتان واحدة شرقي النيل(النيجر) وتسمى سرناه بها أسواق ومتاجر و يقصدها الناس من كل البلدان. ومدينة أخرى غربي النيل خاصة بإقامته(أي الملك) هو وثقاته، وبها مسجد يصلي فيه ومصلى الجماعة. وله فيها أيضا قصرا لا يسكنه معه أحد[1].

ومن مؤرخي القرن الرابع للهجرة الذين يذكرونها أيضا نجد ابن حوقل، الذي يذكر ملك سنغاي باسم "ملك كوغة"، ويقول عنه بأنه كان يقيم علاقة طيبة مع ملك أودغست الذي كان في ذلك الوقت تابعا لإمبراطورية غانة، ويعطيه الهدايا رغم أن ملك كوغة كان أقل مالا وغنى من ملك أودغست. ولكن ابن حوقل يرجع ذلك إلى حاجة ملك كوغة إلى الملح الذي يصل إليهم من أودغست[2]. ذلك أن أودغست كانت تمثل مركزا تجاريا، ونقطة عبور مهمة للقوافل القادمة من بلاد المسلمين في الشمال إلى بلاد السودان. وبالتالي كانت كل السلع الأساسية المتجهة إلى الأسواق السودانية كانت تمر عبرها، ومن هذه السلع الملح الذي لم يكن يستغني عنه السونغاي ولا قوام لهم إلا به[3].

أما البكري الذي عاش في أواسط القرن الخامس للهجرة، فانه يذكر كوغة (جاو) ويصف لنا حركتها التجارية ، وأهم السلع التي كانت تتدفق على أسواقها من الملح والودع والنحاس والفربيون (كذا).كما يذكر غناها بالذهب من خلال مناجم التبر التي تحيط بها، بل ويصفها بأكثر بلاد السودان ذهبا[4].

([1]) معجم بلدان، مج السابع، حرف"الكاف" ص ص 301 و302.

([2])صورة الأرض، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دون تاريخ، ص98.

([3]) نفسه،ص98

([4]) المصدر السابق، ص 179.

إن هذه الشهادات التي قدمتها لنا المصادر العربية، تبين بأن مملكة سنغاي قد عرفت تطورا وازدهارا كبيرين منذ نقل عاصمتها إلى جاو، واستفادت كثيرا من هذه المدينة التجارية التي جعلتها تلعب دورا اقتصاديا وسياسيا لا يمكن تجاوزهما في منطقة النيجر والسنغال العلويين خلال الفترة الممتدة بين القرنين الثالث والخامس الهجريين/9 و 11 الميلاديين.

وعرفت مملكة سنغاي خلال هذه الفترة ملوكا أقوياء حافظوا على قوة هذه المملكة وازدهارها، وساهموا في تدعيم ذلك الدور الذي أنيط بمملكتهم. وكان هؤلاء الملوك من نفس العائلة التي أسست إمارة سنغاي الأولى في كوكيا، ألا وهي عائلة زا الأيمن. ولقد ذكر السعدي في كتابه ثلاثين ملكا حكموا سنغاي، وكلهم ينتمون إلى نفس العائلة. ويبدأ اسمهم بحرف "الزاي "بدء من زا الأيمن إلى غاية الملك "**زا** بدا " الذي يعد آخر ملك من هذه العائلة، قبل أن ينتقل الحكم إلى عائلة الإسقيين، وقد ساد منهم أربعة عشر ملكا كلهم قبل الإسلام[1]. وهذا يؤكد ما ذهب إليه دولافوس من أن أول ملوك كوكيا زا الأيمن، و مرافقيه لم يكونوا مسلمين. ولكننا في نفس الوقت لا نملك ما يثبت الكلام الذي ذهب إليه دولافوس و هو أنهم كانوا مسيحيين[2].

وحسب السعدي دائما فإن أول ملك اسلم منهم كان "زا كوسي"، والذي يقال له في كلامهم"مسلم دم" أي أسلم طوعا، وبإرادته دون إكراه.، وكان ذلك سنة 400 هـ/1009م. [3]والتالي فإننا نستنتج بأن إسلام ملوك كوكو كان قبل الغزو المرابطي لغانة، أي أنه كان بالطرق السلمية، وبعيدة عن الحرب والإكراه. وربما يكون ملوك كوكو قد تأثروا بالتجار المسلمين الذين كانت عاصمتهم تعج بهم، وفيهم الدعاة والفقهاء.[4] لكن المصادر العربية المعاصرة لهؤلاء الملوك الأوائل من المسلمين تخبرنا بأن الإسلام لم يكن ديانة كل شعب السنغاي، حيث كان سكان العاصمة جاو

([1]) تاريخ السودان،ص ص 2 و3 .

([2]) Delafosse (M) ,Haut S-N,tome1,p241.

([3]) المصدر السابق،ص 3

([4]) Monteil (Vincent) ,L'islam noir, une religion à la conquête de l'Afrique. Editions du seuil, France, 1980, p94.

مسلمين، ولهم مسجدا يصلون فيه جماعة. بينما ما حواليها من الممالك والمدن، فإنهم كانوا يزالون مشركين، لكن يبقى أغلبية الشعب مسلما[1].

يذكر البكري عاصمة سنغاي كوغة و يقول بانها تقع على بعد مسيرة خمسة عشر مرحلة من غانة و ان اهلها مسلمون و حول هذه المدينة يوجد المشركين،و اكثر ما يتجهز اليها الملح الذي يستعمل ايضا كعملة، والودع و النحاس، والفربيون(الحلبة) انفق شيء عندهم، و حواليها من معادن التبر كثيرة و هي اكثر بلاد السودان ذهبا[2]. كما يقول عن اهلها بأنهم يلقبون بالبزركانيين، و أن عاصمتهم تنقسم الى قسمين واحدة يسكنها الملك و اخرى يسكنها المسلمون و أن ملكهم رغم اسلامه الا انه كان يسكن مدينة الكفار، و زيهم كزي السودان من الملاحف و ثياب الجلود و غير ذلك حسب قدرة كل انسان منهم، و هم يعبدون الدكاكير(الاصنام) و كانوا عندما يجلس الملك يضربون الطبل و ترقص النساء بشعورهن المسترسلة، و انه لم يكن يسمح لأي احد ان يتحرك في المدينة حتى يفرغ الملك من اكل طعامه ثم يلقي ما بقي منه في النهر فيصيحون ليعلم الناس انه فرغ من طعامه.

و كان الملك الجديد عندما يولى العرش يجلب له خاتم و سيف وز مصحف القرآن يزعمون بانه مبعوث له من عند امير المؤمنين(اي الخليفة العباسي). و يقول البكري بان ملك كوكو كان مسلما و لا ينصبون ملكا إلا من المسلمين[3].

أولا: فترة حكم سني علي، أو علي كولن، أو بر الكبير(1464 .1492م)

خلال سنة 1325م كانت امبراطورية و مالي قد بلغت اوج قوتها، و عندما قام الملك منسا موسى بحجته الشهيرة و كان عائدا الى مالي مر بسنغاي وقام قائد جيشه سامغنجا باحتلال عاصمة سنغاي جاو(كوكو) واخذ ابني الملك زا اسيباي و هما (**سليمان . نر**) و (**على . كولن**) كرهينتين عنده، و مع مرور الوقتو لما كبر الولدان كان علي كولن يقوم بجولات خارج اسوار مدينة نياني بمالي خفية، و بدأ

([1]) البكري، المصدر السابق،ص179 ، الحموي،المصدر السابق، ص 301.

([2]) البكري، المصدر السابق، ص1789.

([3])نفسه، ص183.

شيئا فشيئا يحاول ان يتعرف على الطريق المؤدي الى جاو ، ثم بدأ يجهز نفسه و اعد جيشا بعيدا عن اعين ملوك مالي، ثم اخبر أخاه سليمان نر بالخطة فانظم اليه في مخططه. و لما حان الوقت المناسب هربا الى سنغاي و تتبعهما سلطتنةمالي بجيشه و تقاتل الجيشان في الطريق فتمكن علي كولن و اخاه من الوصول الى جاو و دخلاها منتصرين، فنصب علي كولن نفسه ملكا على سنغاي و قطع صلته بملك مالي و لقب نفسه بسن علي او بر علي(1).

بعد سيطرة علي كولن على عرش سنغاي غير مصير المملكة حيث جند جيشا مدربا و منظما، و أعد أسطولا صغيرا على نهر النيجر بقيادة هيكوي(وزير النهر)و بدأ فتوحاته في كل الاتجاهات و مارس في هجوماته كل انواع العنف و القتل و الترهيب و نكّل بخصومه، و حيكت حوله الروايات الأسطورية حيث قيل أنه كان ساحرا كبيرا ،كما لقّب بدعالي(أي علي العليّ).

و اهتم بالجهة الغربية ذات الثروات الكبيرة من الذهب، فغزا مسينا،و فتك بالفلاتة، و غزا تنبكتو، و هاجم الطوارق و طردهم الى الشمال من منطقة الساحل،كما غزا الموشي و الدوجون في الجنوب(2).

و عرف عن سني علي من طرف المؤرخين و علماء السودان بأنه كان طاغية فاسق لما ارتكبه من اعتداءات في حق العلماء و االصالحين و خاصة عندما دخل تنبكتو عام369هـ/1468م التي نهبها و حرقها وقتل فيها خلق كثير،والتي اعتبرها السعدي اشد فتكا من تلك الانتهاكات التي قام بها الموسي الوثنيين عندما غزوا تنبكتو عام 1369م و التي قام بها السعديين عام 15991 م (3).

ويعود سبب فتكه بالعلماء الى تربيته و نشأته فهو تربى في بلدة تسمى ألفارو(Alfarou) التي كان اهلها مسلمون اسلاما سطحيا، و كانت متجذرة فيهم التقاليد و الممارسات الوثنية فكانوا

---

(1) السعدي، تاريخ السودان،ص6

(2) سيكيني مودي سيسوكو، الصنغي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، في كتاب:تاريخ افريقيا العام، مجلد الرابع، اليونسكو،1988، ص203.

(3) السعدي، المصدرالسابق،ص65.

يتضايقون جدا من انتقادات و توجيهات و ارشادات و مواعظ العلماء و الفقهاء لهم. كما أن علماء تنبكتو كانوا قد انظموا الى زعيم الطوارق **العقيل الملاول** في حربه ضد سني علي و استنجدوا به، و هو ما جعل هذا الاخير ينتقم منهم و ينصب نفسه مدافعا عن الثقافة السنغائية التقليدية ضد الموجة الجديدة لعلماء تنبكتو المصلحين[1].

توفي سني علي عام 1492م و خلفه ابنه **أبو بكر داعو** الملقب سني باري و الذي يقال بأنه رفض اعتناق الاسلام الصحيح فثار ضده قائد جيشه و هو محمد توري الذي يلقبه السعدي بمحمد الاسعد الارشد و هو رجل مصلح متمسك بالدين الصحيح[2].

و لما تفوق عليه و قتله أصبح محمد توري الملك الجديد لإمبراطورية سنغاي و تلقب بأسكيا[3] محمد الاول و بالتالي بدأ عهد الاسقيين.

ثانيا:مملكة سنغاي في عهد الإسقيين:

كان الاسكيا محمد من أصل سوننكي من عشيرة توري المنحدرة من سلالة المرابطين، و رغم أنه كان أميا إلا أنه كان مسلما ورعا، و رجلا متّزنا و معتدلا و سياسيا بعيد النظر.

و كان اول عمل قام به لما اعتلى العرش هو ادائه لفريضة الحج و اصطحب معه 800 فارس و عدد كبير من علماء الدين، و حمل معه مالا كثيرا، فنزل بالقاهرة و زار الشيخ جلال الدين السيوطي (شيخ الازهر) الذي نصحه بشؤون الحكم، و اشترى بمكة بستانا أوقفه للحجاج السودانيين. كما حصل من شريف مكة على لقب خليفة السودان و بالتالي تحصل على الشرعية الدينية لحكمه وعلى اعتراف حكام العالم لسطانه[4].

([1]) Delafosse,Haut Sénagal-Niger,tome2, p77 ;

([2]) السعدي،المصدر السابق، ص81.

([3]) لما تغلب محمد توري على غاو و دخلها و اعلن نفسه امبراطورا، سمعت بنات سني علي بهذا الخبر فصرخن بلغة السنغاي سي كيي أ(si kyi a) و معناها (ليس هو) أو (لن يكون هو) Delafosse,Op.Cit,p 84

([4]) سيكيني مودي سيسوكو، المرجع السابق، ص206.

بعدها توجه لتنظيم الدولة، حيث قام بتكوين جيش نظامي بعدما كان في عهد سني علي مفروضا على جميع السكان خلال التعبئة العامة للحرب، لهذا فقد عمل الاسقيا على تشكيل جيش محترف . كما عمل على تقسيم المملكة الى ولايات على رأس كل ولاية حاكم يمثل سلطة السلطان ، حيث كان يمنحهم لقب فاري ، فمثلا حاكم غورما بلقب بغورما فاري، و حاكم دندي يلقب بدندي فاري وهكذا. كما نصب مسؤول القوارب النهرية و هو(هي ـ كوي Hi-Koi) الذي كان من يختار من بين شعب السوركو و هم أسياد الانهار، و عين مسؤولا عن مراقبة جمع الضرائب و هو (فاري ـ مانديو fari-mandio) ، كما عين على راس الديانات المحلية الوثنية مسؤولا يلقب (بكوري فاريما koré-farima) و مسؤول الغابات (ساو ـ فاريما sao-farima) الذي يراقب من يقطع اشجار الغابات، و يجمع الاتوات على الطرائد المصطادة بالاضافة الى مسؤول الصيدالنهري (هي ـ كوي ـ كوي hi koi-koi). و على راس كل مدينة كبيرة عين مسؤولا اداريا لقب ب(كوي koi) مثل تنبكتو ـ كوي و جني ـ كوي، و هكذا.[1]

بعد ذلك تفرغ لتوسيع مملكته فأخضع مسينا و ديارا و بلاد الموشي بعدما رفضوا الدخول في الاسلام، و غزا أغاديس و بلاد الآير فيالصحراء. أما جني فخضعت له طواعية بدون حرب، و في سنة 1500م غزا بلاد التكرور و استولى على منجم غالام الذهبي[2].

و في سنة 1513م توجه نحو بلاد الهوسا و غزا كتسينا و تحالف مع ملك كبي الذي كان قويا، كما حارب قادة مالي و انتصر عليهم في الغرب[3].

و في ميدان العدالة نظم القضاء و نصب القضاة في كل المدن الاسلامية ، و حمَّل القضاة سرعة البت في القضايا . و في المجال الاقتصادي شجع التجارة و نشر عدد كبير من الشرطة لمراقبة الأسواق و اجتهد في مراقبة ادوات القياس و المكييل و الموازين، و اهتم بالزراعة فأنشأ عددا من

([1])Delafosse(Maurice),Haut senégal-Niger,tome2,p87.

([2]) السعدي،المصدر السابق،ص ص 74.73 . 75.

([3]) Delafosse(Maurice), Op.Cit,Pp92-93.

القرى الزراعية ، و خفّض الضرائب على المحاصيل الزراعية.في المجال العلمي شجع التعليم و كان يغدق العطايا و المعاشات على العلماء و يحيطهم بالرعاية و التبجيل و الاحترام[1].

لكن الاسكيا الحاج محمد توري أصيب بالعمى في أواخر حياته و تغلب عليه ابناؤه ، حيث كان لديه ثلاثون ولدا، و كان الاسكيا محمد يعتمد كليا على رجل ثقة يسمى علي فولن ، لكن ابنه موسى كان يحاول التخلص منه من أجل الاستيلاء على العرش و الاطاحة بأبيه[2].

و لهذا فإن علي فولن لما خشي من ان يقتل من ان يقتل من طرف سياد أوسيديا(ميليشيات موسى هرب و لجأ الى غورما التي كان يحي ابن الاسقيا محمد يحكمها، فاستغل موسى غياب علي فولن و اخيه يحي عن جاو لينفذ مخططه فأطاح بحكم ابيه و استولى عللى عرش سنغاي سنة 1528م، فلجأ الاسكيا المخلوع الى كوكيا بغرض انشاء مملكة موازية مستقلة عن سنغاي بالاستعانة بابنه يحي لكن موسى كان مدعما من طرف اخوته داود و اسماعيل و ابن اخيه عمر دياكو و هو محمد مار الملقب ببنغن كوراي أي بنغن الابيض، لهذا فشلت حركته و اصبح ابنه موسى ملكا لسنغاي ، أما هو فوُضع في الاقامة الجبرية لا يفعل شيئا[3].

1 . الأسكيا موسى(128 . 1531م):

لقد اعتلى الاسكيا موسى العرش سنغاي في يوم عيد الاضحى مستغلا انشغال ابيه بصلاة العيد و ذلك يوم الاحد 10 من ذي الحجة سنة 935هالموافق ل15 أوت 1529م[4]، حيث حاول ان يقتل اخوته و دخل معهم في حرب ضروس ، و تمكن من قتل أكثر من ثلاثين رجلا من أبناء اخيه غير الشقيق كورمينا فاري عمر الذي كان في عهد ابيه حاكم ولاية كورمينا[5] ،بينما تمكن أخوه

([1]) سيكيني مودي سيسوكو، سنغاي من القرن الثاني عشر الى القرن السادس عشر، ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، المجلد الرابع، صادر عن اليونسكو بالمطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م، ص 208.

([2]) Delafosse(Maurice), Op.Cit,Pp92-93.

([3]) Kati (Mahmoud),Trrikh el fettach, traduit par ;O.Hodas et Maurice delafosse,Paris,1913,p155.

([4])mahmoud kati,Op.Cit,p155.

([5])Delafosse,Op.Cit,p95.

الشقيق عصمان من الفرار الى تلمان و لجأ إسماعيل الى ولاته عند زعيم الطوارق عقيل. أما علي فولن فقد لجأ الى كانو في بلاد الهوسا اين توفي هناكو لما وصل الى جاو القيباربعة اخوته الآخرين في السجن ثم قام بذبحهم و هذا بغرض التخلص من اخوته و الانفراد بالحكم.[1]

لقد كان موسى هذا رجلا ظالما و طاغية حيث فتك بخلق كثير و عاش الناس في عهده رعبا كبيرا ما عدا أولئك الذين لجؤوا الى تنبكتو التي اعتبر من يدخلها آمنا، لكن إخوته الناجون من بطشه لم يستسلموا للأمر الواقع بل اتحدوا مع بعضهم البعض و دبروا له مكيدة للتخلص منه ، و في احدى الايام تعقبه احدهم و يسمى فرمان ألو فرماه برمح فأصابه بكتفه الايسر و قتله يوم 12 افريل 1531م[2].

2 ـ الاسكيا بنكن كوري(1531.1536م)

بعد وفاة موسى تم تعيين الاسكيا بنكن كوري في الوقت الذي حاول فيه ألو قاتل موسى أن يستولي على عرش سنغاي، قبل أن يتم القضاء عليه فيما بعد و يجلس بنكن كوري على العرش[3]. ثم تمت مبايعته من طرف الجميع ن و كان صعوده الى العرش في أول شهر رمضان و لقب بقاطع الارحام لأنه أول شيء قام به لما تولى العرش هو إخراج أكبر أعمامه و مؤسس الدولة الاسكية محمد توري من مدينة جاو[4] و نفاه الى جزيرة كنكاغا ، و لكن الاسكيا بنكن كوري كان رجلا شجاعا فارسا، كان إذا أشتد القتال في المعارك نزل من فرسه و قاتل و هو مترجل، و كان أول من ألبس خدمه المخيط من الثياب و الأساور و كان عنيفا قليل الصبر، و لم يلبث أن اندلعت الحرب بينه

([1])Delafosse,Op.Cit,p95.

([2]) Ibid,p 96.

([3]) لما تم تعيين بنكنكوري اسكيا ثار ألو و جلس على العرش المخصص للسلطان و قال:((كيف يمكن ان أكسر الشجرة برأسي ليأكل ثمارها غيري)). لكن القائد عصمان تنفرن وجه له سهما فهرب ألو الى السوركو اين قام زعيمهم ملك المياه بقطع راسه و ارساله الى السلطان بنكن كوري، لكن هذا الاخير قام بقطع راس زعيم السوركو ايضا بحجة انه تدخل في الشؤون العالية للاسرة الحاكمة.(Delafosse,Op.Cit,p96)

([4]) حيث أن الاسكيا موسى لما انقلب على ابيه لم يخرجه من جاو و تركه في الاقامة الجبرية هناك.

وبين كنفاري عصمان قُتل فيها الاسكيا بنكن كوري و اثنتا عشر (12)من اخوة عصمان وهم كلهم من أبناء عمه الأسكيا محمد توري[1].

و في عهده ازداد عدد جيش سنغاي حيث بلغ 1700جندي، أما مدة حكمه لسنغاي فقد بلغت ست سنوات ، قاتل فيها اخوته ، و في سنة 1536م ثار عليه ابن عمه الاسكيا اسماعيل من خارج جاو و لما بلغ هذا هذا الخبر مسامع الاسكيا بنكن هرب باتجاه تنبكتو ثم لجأ الى مدينة تابا (جنوبي شرق جني) أين توفي هناك وخلفه الاسكيا اسماعيل[2].

3 ـ الاسكيا اسماعيل(1537.1539م):

تولى الأسكيا اسماعيل عرش سنغاي في أول يوم من ذي القعدة سنة 934هـ/1537م حيث قام بإخراج أبيه من الجزيرة التي ارسله اليها بنكن و اعاده الى جاو قبل ان تتوفاه المنيةفي 2 مارس 1538م، كما أعاد إخوته الى قصره و وصل الأرحام[3] كما قام بإعلان الجهاد ضد القبائل الوثنية في نهر النيجر، و وجه اليهم عدة سرايا و غزوات، حيث قتل منهم المئات و أسر منهم الكثير الى درجة أن سعر العبيد في جاو انخفض الى 300 صدفة[4] ، و في نفس الوقت الي خرج فيه جيش سنغاي لمحاربة الكفار توفي الاسكيا اسماعيل في شهر رجب سنة 946هـ/1539م.

4 ـ الأسكيا اسحاق(1539 .1549م)

تولى الاسكيا اسحاق الحكم بعد وفاة الاسكيا اسماعيل ، و كان اسحاق رجلا تقيا صالحا كثير الصدقات ملازما لصلاة الجماعة عاقلا فطنا ذا دهاء[5]. كما تميز بالهيبة بحيث قتل عدد من

([1]) محمود كعت، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس ، طبعة هوداس و دولافوس،المكتبة الامريكية و الشرقية، باريس، 1964م،ص ص 84 .85.

([2]) نفسه، ص85.

([3]) السعدي،تاريخ السودان، ص88، محمود كعت،تاريخ الفتاش، ص 87.

([4])كان اهل سنغاي يتعامل في التجارةبالاصداف النهرية كعملة أنظر :

Mauny(Raymond):Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen âge. Edition Ifan, Dakar, 1961.

([5]) محمود كعت، المصدر السابق،ص87.

قادة الجند الذين كانوا قبل ذلك يتحكمون في الاساكي الذين سبقوه [1]. كما قتل عدة مسؤولين و عزل آخرين بسبب مخالفتهم لأوامره.كما حارب الظلم و الفساد ولهذا كان يلقب ب(اسحاق بكدبن) و معناها الحجر الاسود[2]. لكنه في سنة 1549م لما مر بكوكيا أصابه مرض الطاعون الذي كان منتشرا هناكو الذي كان يسمى عندهم كفي ، و كان ذلك ليلة الجمعة 16 من رمضان سنة 955هـ/مارس 1549م[3].

5 ـ الاسكيا داود (1549ـ 1582 م)

هو شقيق الاسكيا اسماعيل وابن الاسكيا محمد توري، و قد تولى العرش و هو في كوكيا بعدها دخل جاو[4].وبدأ حكمه بتنصيب مسؤولين جدد في الوظائف العليا للدولة ، و في نوفمبر 1549م شن غزوة ضد قبائل الموسي الوثنيين ، و في سنة 1550م شن هجوما على شعب ماسينا وهزمهم[5].

و لقد بلغت الدولة في عهده ذروتها من التقدم و حققت نهضة اقتصادية وفكرية عظيمة ، فازدهرت الزراعة في نهر النيجر و انتعشت المدن التجارية الكبرى، حيث سمي عهده بعهد القوافل العابرة للصحراء. كما أكرم العلماء و الادباء و أغدق عليهم بالعطايا وأحاطهم بالتبجيل والاحترام، كما رمم المساجد و انفق على الفقراء[6].

لكن في عهده اندلعت أزمة مناجم الملح بتغازة مع المملكة السعدية بالمغرب ، حيث كان العاهل المغربي يطالب بها. و رغم توصل الطرفان الى حل بشأنها يقضي باعتراف المغرب بملكية سنغاي للمنجم فإن القضية انفجرت مرة أخرى و انتهت بالاحتلال المغربي لهذه المناجم في عهد الاسكيا محمد الرابع (1583 ـ 1586م)، و بعد موت هذا الاخير نصب أخوه الاسكيا الحاج محمد

([1]) السعدي، تاريخ السودان ، ص 96.

([2])Delafosse,Op.Cit,p101.

([3])كعت، المصدر السابق، ص 93.

([4]) السعدي، المصدر السابق،ص 100.

([5]) Delafosse,Op.Cit,p104.

([6]) سيكيني مودي سيسوكو، سنغاي من القرن الثاني عشر،مرجع سابق،ص 208

الخامس خليفة له ، و بالتالي اندلعت حربا اهلية بين الاخوة الذين ثاروا عليه و من بينهم أخاه الصديق حاكم تنبكتو الذي غزا جاو عام 1588م، و نصب نفسه أسكيا لكن والي ولاية جاو اسحاق الثاني تصدى بوحشية لهذا التمرد و قضي عليه، و لكن بعد ذلك بدأ اليأس يتسرب الى قلوب الكثير من الناس و تحرك الجيش المغربي بقيادة جودر باشا الى جاو لاحتلالها ، و مال بعض الجنود الى الى صفوف الجيش المغربي الغازي 1591م، و بالتالي سقطت هذه الامبراطورية في ايدي السعديين[1].

و عموما فإن مملكة سنغاي التي بدأت على شكل امارة صغيرة خاضعة للمالك قوية كغانة و مالي، تمكنت من التخلص من التبعية اليهم و بناء امبراطورية واسعة تعد من اوسع الامبرطوريات التي عرفها السودان الغربي على مر التاريخ، و رغم عدم تمكن الاسلام من فرض نفسه في هذه المملكة عبر قرون عديدة من حكم اسرة (ديا) او (زا) فإن وصول الاسقيين الى الحكم غير وجه الامبراطورية من الناحية الحضارية فتحولت عواصم سنغاي الاقتصادية كتنبكتو و جني و جاو الى عواصم للثقافة العربية الاسلامية، و اعطت لهذه المملكة السوداء مكانة مميزة في التاريخ الاسلامي.

([1])سيكيني مودي سيسوكو، ص208.

المحور الخامس: مملكة كانم بورنو

اولا:.مملكة كانم:

1- الكانم في المصادر العربية

لقد ذكرت المصادر العربية[1] مملكة كانم منذ القرن التاسع للهجرة/13م، لكن المصادر المحلية للتشاد قد ذكرتهالا في مصدر واحد و هو الديوان الملكي الذي سجل تاريخ الاسرة الملكة منذ القرن السابع للهجرة/13م.

أما دلافوس فيذكر بأنه بشرق بحيرة التشاد عاش شعب تربطه بشعوب اخرى متفرقة على ارض صحراوية رابطة لغة واحدة و أصول واحدة، هذا الشعب يسمى بالكانم[2].

و تقول الروايات الشفوية بأن نشأة مملكة كانم كانت حوالي 800م/184ه بعدما سيطر عليها الزغاوة واصبحوا ملوكا للأرض و المملكة. فحتى اليعقوبي الذي ذكر البلدان سنة 258ه/872م، فقد ذكر بأنه في زمانه كانت مملكة الكانم تحت حكم شعب يدعى الزغاوة.كما ذكرها ابن قتيبة خلال القرن الثاني للهجرة، والمهلبي في نهاية القرن الرابع للهجرة، و الذي ذكر تفاصيل مهمة عن مملكة الزغاوة.[3]

([1]) ذكرها كل من الادريسي (نزهة المشتاق)، البكري(المسالك و الممالك) و ابن سعيد(كتاب الجغرافيا).

([2]) Delafosse(Maurice), Les noirs de l'Afrique. Editions Payot, Paris, 1941, P100

([3]) **الزغاوة**: ويطلقون على انفسهم **بيري،** وهي قبيلة تعيش أساسا في تشاد والسودان وليبيا، و يوجدون في غرب السودان و خصوصا في دار فور. و قد اختلف المؤرخون حول أصل الزغاوة ،حيث ذهب البعض الى أنهم يلتقون مع البرنو اذ ي ينحدرون من العرب العاربة عرب الجنوب وأنهم حمريون .ثم كانوا من ضمن هجرات العرب الأولى قبل الإسلام بقرون ثم اختلطوا بقدماء المصريين ثم النيليين .ثم ظعنوا الى حوض بحيرة تشاد وخلال الترحال والتداخل والتعايش التقوا بأقوام وعناصر بشرية كثيرة ومختلفة فتزاوجوا وتصاهروا حتى ضاع لسان كثير منهم فصاروا رطانة، وذهب آخرون الى أن الزغاوة برابرة حاميون وعندما جاء الإسلام كانوا أول من اعتنقه وأبلوا بلاءً حسناً في الدفاع عنه. وحمل رسالته لكثير من الشعوب العربية. وذهب بعضهم الى أن الزغاوة هم الشعب الليبي القديم واتصلوا عن طريق البحر الأبيض المتوسط بالحضارات القديمة كالفينقية والمصرية والنوبية.

ويعتبر اليعقوبي أول من أشار إلى مملكة الزغاوة وذلك في القرن 3هـ/ 9م، أثناء حديثه عن الكانم، حيث قال: "أما السودان الذين غربوا وسلكوا نحو المغرب، فإنهم قطعوا البلاد فصارت لهم عدة ممالك، فأول ممالكهم الزغاوة، وهم النازلون بالوضع الذي يقال له كانم، ومنازلهم أخصاص القصب، وليسوا بأصحاب مدن، ويسمى ملكهم كاكره. ومن الزغاوة صنف يقال له الحوضيون ولهم ملك من الزغاوة " [1].

وعرفت مملكة الزغاوة أيضا بمملكة كانم، وهو المكان الذي يعيش فيه الزغاوة، وكانم تعني في لغة القرعان[2] (الجنوب) أي أن كانم تقع إلى الجنوب من بلاد القرعان. ويقول ياقوت الحموي: "كانم بكسر النون من بلاد البربر افي اقصى المغرب في بلاد السودان ...و قيل كانم صنف من السودان وفي زماننا هذاشاعر بمراكش المغرب يقال له الكانمي مشهود له بالاجادة و لم اسمع شيئا من شعره و لا عرفت اسمه."[3]

يقول عنها البكري: "و بين زويلة و بلد كانم اربعون مرحلة و هم وراء صحراء بلاد زويلة لا يكاد أحد يصل اليهم و هم سودان مشركون و يزعمون ان أن هنالك قوم من بني امية صاروا اليها عند محنتهم بالعباسيين و هم على زي العرب و احوالها"[4].

وامتدت حدود مملكة الزغاوة في كانم لتضم إليها مناطق بلما، كوار ولتصل حتى زويلا، في فزان في الشمال، أما في الشرق فكانت حدودها تحاذي بلاد النوبة. ويقول المسعوديبانها تصل الى

([1]) اليعقوبي، كتاب البلدان، طبعة بريل، باريس،1860، ص149.

([2]) **القرعان** هم قبائل سودانية ينتشرون في بحيرة التشاد و كوردفان و الاسودان الاوسط عموما هناك من ينسبهم الى اصول عربية و الى الحسن بن علي كرم الله وجهه و منهم من ينسبهم الى اصول زنجية. و على العموم فان القرعان كانوا تجارا و رعاة بقر اسلمو منذ وقت مبكر و عملوا على نشر الاسلام و تعليم القرآن في السودان الاوسط و نشروا اللغة العربية ايضا. (أنظر: محمود أبكر سليمان و محمد علي ابكر الطيناوي. الزغاوة ماض و حاضر، الطبعة الأولى الكويت، 1988م، ص ص11و12.)

([3]) ياقوت الحموي، معجم البلدان، مطبعة السعادة، مصر،1906م، الطبعة الاولى ، المجلد السابع، ص310.

([4]) البكري(ابو عبيد) المغرب في ذكر بلاد بلاد افريقية و المغرب و هو جزء من كتاب المسالك و الممالك،دار الكتاب الاسلامي، القاهرة،د ت،ص11.

غاية النيل المصري، وانها كانت في حرب مع ممالك النوبة. ووصفهم المهلبي في القرن 4هـ/ 10م كمملكة واسعة تمتد من بحيرة تشاد الى حدود النوبة. و يقول عنهم بان مملكتهم تضم شعوبا كثيرة،و هم يعظمون ملكهم و يعبدونه من دون الله تعالى و يتوهمون لنه لا يأكل الطعام ...و يده مطلقة في رعاياه و يسترق من يشاء منهم ...و هم يعبدون ملوكهم و يعتقدون بانهم هم الذين يحيون و يميتون و يمرّضون و يصحّون" و هذا ما يؤكد بأن الكانميين لم يعتنقوا الاسلام إلاّ بعد القرن الرابع للهجرة/10م. [1]

ثانيا. كانم في عهد الزغاوة :

لقد كانت نشأة هذه المملكة حسب الروايات الشفوية سنة 184هـ/800م[2] ،نتيجة سيطرة جماعة من الزغاوة على المجموعات الاخرى بفضل حيازتها على الاسلحة الحديدية،و فرضت سيطرتها على شعوب الزراعية و الرعوية التي تعيش في المنطقة الواقعة جنوب شرق كوار بين بحيرة التشاد و بحر الغزال في ارض النوبةأمثال دوكو أو كاكرة الذي ذكره اليعقوبي، بالاضافة الى الملك فونا، أرسو، كاتور، أيوما و غيرهم.[3] ولقد اقام هؤلاء الملوك علاقات دبلوماسية مع الدول الاسلامية في شمال افريقيا مثل تبادل الهدايا مع الخلفاء الفاطميين،و عن طريق هذه العلاقات وصل الاسلام الى ملوك الكانم.

و كان أول ملك يسلم منهم هو "**لادسو**" أو " **أوسو**" و نجده في مواضع اخرى " **حوا**"الذي لم يحكم الا أربع سنوات فقط(حكم بين 459 و463هـ/1067و1071م) بينما بقي الشعب وثنيا، حيث بقيت العاصمة القديمة "مانان" تعج بالكفار. ثم جاء بعده الملك "**عبد الجليل سيما**" الذي حكم اربع سنوات أيضا(بين 46و467هـ/1071و1075م)، ثم خلفه الملك "**أيوما**" الذي حكم عشرون سنة، و

([1]) نور الدين شعباني، علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الاسلامي و آثارها الحضاري بين القرنين الخامس والتاسع الهجريين، رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة الجزار2، السنة الجامعية:2005/2006م، ص18.

([2]) Cornevin (Robert et Marianne) , Histoire de L'Afrique des origines à la deuxième guerre mondiale, 4éme Editions. Petite bibliothèque Payot, Paris, 1964, P 134 .

([3]) Cânâle (Jean Suret), L'Afrique Noire., 3eme édit, éditions sociales, Paris, 1968, p151.

من بعده "**أركو**" الذي حكم لمدة 44سنة كاملة.[1] و بوفاته ينتهي عهد حكم الزغاوة و بداية عهد السيفيين.

ثالثا:مملكة كانم في عهد السيفيين:

تنسب هذه الاسرة نفسها الى البطل اليمني سيف بن ذي يزن لذلك تسميت بالأسرة السيفية. ومؤسس هذه الاسرة هو هوماي و هو مشتق من **حمد** أو **أحمد**(1075و1080م)، و هناك دلائل تؤكد بأنه بأنه من اصل بربري، لكن بشرته كانت سوداء قاتمة.[2] رغم انه إدعى النسب العربي اليمني على شاكلة ملوك السودان الآخرين في ذلك الوقت طلبا للشرعية. و يقول عنه ابن سعيد نقلا عن ابن فاطمة:"**إن سلطان كانم ...هو محمد بن جبل،من سلالة سيف بن ذي يزن، و كانتى عاصمة أجداده الكفار قبل دخولهم الاسلام هي مانان، و قد اسلم جده الرابع نتيجة لتأثير أحد الفقهاء، و بعدها انتشر الاسلام في كل انحاء كانم**" [3]. ولقد اخضع (هوماي) عدة شعوب شعوب وثنية لسلطته، منها مدينة (كوري) التي تسمى بحيرة التشاد باسمها[4] و مدينة (بدي) و (جاجة)، و كان ملك الكانم ينطلق من هذه المدن لغزو بلاد الكفار على جوانب بحيرة كوري، فيقطع مراكبهم و يقتل و يسبي من فيها[5].

([1]) Cuoq (joseph) : Histoire de L'islamisation de L'Afrique de L'ouest des origines à la Fin du XVIème Siècle, Librairie orientaliste Paul Gauthner, Paris, 1984, Pp 236,237.

([2]) ديرك لانجي، ممالك التشاد وشعوبها ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام صادر عن اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1988 م ، المجلد الرابع ، ص 248.

([3]) ابن سعيد، المصدر السابق، ص96.

([4]) يطلق على بحيرة التشاد إسم بحيرة كوري كذلك.

([5]) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي)، كتاب الجغرافيا. تحقيق وتعليق إسماعيل العربي الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1982م.ص 94.

كما بسطت مملكة الكانم سيطرتها على مدن إسلامية كانت قد سلمت على ايدي فقهاء وملوك الكانم، مثل سلطنة (تجوة)، و مملكة (كوار) و مملكة (فزان) ومدينة (رديني). و سيطرت على الشعوب البربرية الصحراوية المتمركزة شرقي جبل (مقورس) الفاصل بين الكانم و إمارة كوكو، و الذين أسلموا على يد سلطان الكانم، يتخذهم عبيدا له و يغزو بهم و ينتفع بجمالهم[1].و يذكر ابن سعيد المغربي أن فزان و نخيلها و ودان كلها كانت في عهده تابعة لملك كانم.[2]

وهكذا حققت مملكة كانم انجازات كبيرة بفضل الملك هوماي الذي بدأت تظهر في عهده المعلومات التاريخية حول الكانم بورنو[3]. والذي نفهم من خلال نص ابن فاطمة أنه هو من اتخذ (نجيمي) عاصمة جديدة للملكة عوض العاصمة القديمة (مانان)، وجلب إليها العلماء والفقهاء الذين كانوا يترجمون القرآن ويعلمون الفقه و نشر الأفكار السياسية التي كانت منتشرة بالمغرب الإسلامي[4].

بعد وفاة هوماي خلفه الملك (دوناما الأول) الذي خلف هوماي و حكم خمسين سنة ثم (بير بن دوناما) الذي حكم سبعا وعشرين سنة، و بعده (عبد الله بن بير) الذي حكم سبع عشرة سنة[5]، اللذان استطاعا ان يوطّدا اركان المملكة و أن يحافظا على استقرارها و ازدهارها.

رابعا: التنظيم السياسي لمملكة كانم:

قبل القرن الثالث للميلاد كان افراد الاسرة الحاكمة يستحوذون على كل الوظائف العليا للدولة، لكن ابتداء من القرن 13م بدأ السيفيون يبعدون افراد الاسرة الحاكمة من الوظائف العليا للدولة، و اخذو يعتمدون على عناصر اجنبية. حيث تذكر المصادر أن احد ملوك كانم و هو ابراهيم نيقال قتل

([1]) نفسه، ص 95.

([2]) نفسه، ص94.

([3]) Baba (Kake) et Elika (M'bolo) : Histoire Générale de L'Afrique (L'ère des grands Empires), Imprimé en Belgique,1979, P 46.

([4]) Mauny (Raymond) :Les siècles obscurs de l'Afrique noire, Librairie Fayard 1970, P 181.

([5]) Cuoq (Joseph), Op.cit., P238.

احد ابنائه و بدا بتقسيم البلاد على حكام اجانب هم حاكم الشمال(ييرما) و حاكم الجنوب(قيغما) بينما وزع ادارة الاقاليم على عبيد البيت الملكي[1].

و كان لأمهات الملوك (أو الملكة الام) أو (الغامسو) ذات دور كبير في تعيين الملك او حكام الاقاليم الذين يكونون عادة من عشيرة أم السلطان، كما أنها الوحيدة التي يكون لابنها الحق في تولية العرش.

أما بخصوص إدارة الاقاليم فقد كان سلطان السفويين يشمل في نهاية القرن 15م اثنتي عشرة(12) مملكة تابعة له، حيث كان يتولى كل منها عبد من عبيد البيت الملكي[2].

و يصف ابن فضل الله العمري ملك كانم في كبريائه فيقول:" و ملكهم على حقارة سلطانه و سوء بقعة مكانه في غاية لا تدرك من الكبرياء يمسح برأسه عنان السماء مع ضعف أجناد، و قلة متحصل بلاد، محجوب لا يراه أحد إلا في يومي العيدين، يرى بكرة و عند العصر، و في سائر السنة لا يكلمه أحد، و إن كان أميرا إلا من وراء حجاب"[3]

- أما الجيش فقد ذكرت بشأنه النصوص التاريخية بأنه كان نظامي و دائم و ضم الجنود المحاربين الذين يدعون خلال الحملات أي جيش الاحتياط أما الجيش الاحترافي فقد كان يدعى بالعسكر و كانوا يتلثمون[4].

- و كان القضاء من اختصاص الملك شخصيا مثلما كان في عهد ملوك مالي، لكن منذ عهد ادريس الوما كانت محاولة لاتخاذ قضاة على اساس الشريعة الاسلامية. و ذكر العمري بأن العدل كان قائما في مملكتهم.

- أما التجارة فقد ساعدها موقع كانم في شمال شرق بحيرة تشاد، و بذلك فهي كانت تشرف على تجارة القوافل المتجهة نحو الجنوب. و كانت سيطرتها على كوار تدر عليها ارباحا طائلة من جراء

([1]) ديرك لانجي، ممالك التشاد وشعوبها، مرجع سابق،ص256.

([2])ديرك لانجي، ممالك التشاد وشعوبها، مرجع سابق ، ص256.

([3]) نفسه،ص256.

([4]) العمري(ابن فضل الله) مسالك الابصار في ممالك الامصار،تحقيق احمد حمزة عباس، المجمع الثقافي ، أبو ظبي، الامارات العربية المتحدة ، 2002م ، المجلد الرابع ، ص95.

تصدير الملح الى دول الجنوب . فكوار كانت من اعظم مدن الصحراء وفرة من حيث الملح. كمكا سيطرت على واحات فزان مما سمح لها بالسيطرة على الطريق الاوسط الرابط بين طرابلس و كانم، و الطريق الشرقي الرابط بين مصر ـ غانة ـ مالي ـ سونغاي، بالإضافة الى سيطرتها على الطريق المؤدي الى المغرب الاقصى المار بكانم.[1] أما السلع المتبادلة مع دول الشمال فهي تتمثل في العبيد أساسا، حيث يعد الرقيق أهم سلعة و أقدمها للكانم، ويذكر اليعقوبي انه بكوار كان هناك قوم من المسلمين البربر يأتون بعبيد السودان الى زويلة[2]. و خلال القرن 15 كانوا يستبدلون العبيد بالخيول ، و كانوا في احيان كثيرة ينتظرون سنة كاملة ليجمع لهم الملك العدد الكافي من العبيد.[3]

كما كانت القوافل المتجهة من كانم الى الشمال تحمل معها انياب الفيلة و ريش النعام و بعض الحيوانات الحية. أما أهم سلعة مستوردة فكانت الخيول التي يستعملونها في الحروب، حيث تذكر الروايات الشفوية ب،هـ في عهد ديبالامي الذي حكم بين 1210و1248م كان عدد الخيول في فرقة الفرسان في جيشه يقدر ب41000 حصانا.[4]

كما استورد الكانميون من الشمال القماش و الملابس و الاسلحة الحديدية. فابن سعيد يذكر انه في عهد دوناما ديبالامي كان الكانميون يستوردون ملابس من تونس، كما ذكر المهلبي من قبل بأن ملك

([1]) ديرك لانجي، المرجع السابق، ص 257.

([2]) اليعقوبي، كتاب البلدان، طبعة بريل، 1860، ص 130.

([3]) كان ملوك كانم هم بأنفسهم من يبيعون العبيد الى الدول الاسلامية ، حيث تذكر المصادر انه خلال القرن12م قام ملك كانم (الماي) برحلتين الى الحج ترك خلال كل رحلة في القاهرة 300 عبد Monteil (Vincent), L'islam noir, Une religion à la conquête de l'Afrique, 3eme édition, collection esprit Seuil ,Paris, 1980, p98.

(**4**) ديرك لانجي، المرجع السابق، ص 258.

([4]) ديرك لانجي، المرجع السابق، ص 258.

الزغاوة كان يرتدي الملابس الصوفية و الحريرية القادمة من سوسة[1]، كما صدر الكانميون القصدير والنحاس. أما العملة التي استعملوها في مبادلاتهم فكانت مكعبات القماش القطنية[2].

خامسا: الاسلام في كانم :

حسب الروايات الشفوية فإن الملك حمادي(هوماي) يعد أول كانمي اعتنق الاسلام و ذلك سنة 1085م.[3] .حيث بدأ يجلب الى قصره منذ اعتناقه الاسلام الفقهاء المسلمين، كما ظأن ابنه دوناما بن هوماي(1086 . 1140م) أدى فريضة الحج مرتين و توفي و هو في طريقة الى الح258ج في المرة الثالثة ، كما أن هوماي نفسه توفي بمصر أي لأنه كان في رحلة الى الحج.[4]

و حسب الروايات الشفوية فإنه ابتداء من الملك بر بن دوناما(1140 . 1160م) أصبحت زوجات الملوك الرئيسية تُتخذن من المسلمات، لكن الإسلام الصحيح لم يتجذر لدى الطبقات العامة للشعب إلا منذ عهد دوناما دبالامي(1210 . 1248م)[5].

و كان دوناما ديبالامي ملكا مسلما مصلحا عظيما حج الى مكة مرتين، و قام بتحطيم ضريح تابع للديانة الوثنية القديمة يدعى موني و هو ما سبب بعض الاضطرابات و الاحتجاجات بسبب قداسة هذا المعلم. كما يذكر ابن سعيد هذا الملك و يقول بأنه اشتهر بجهاده للكفار، و اعماله الخيرية، حيث كان يحيط نفسه داما بالفقهاء المسلمين، كما دخل على يديه الاسلام جماعات كثيرة

([1]) ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي): كتاب الجغرافيا. حققه وعلق عليه إسماعيل العربي.الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1982م، ص97,

([2]) ديرك لانجي، المرجع السابق، ص.

([3]) Cornevin (R et M), Histoire de l’Afrique, Op.Cit, p17.

([4]) ديرك لانجي، المرجع السابق، ص 258.

([5]) نفسه،ص 259.

من بربر السودان الأوسط[1]. وكان خلفاء دوناما من بعده متدينين أيضا فقد ساد العدل في عهودهم، فاخذوا بالمذهب المالكي وتجنبوا الترف والبذخ[2].

2. مملكة بورنو:

كلمة برنو وكما اثبتت دراسات المقاربة اللسانية التي قام بها العا لم "بالمر Palmer "تعود الى كلمة (برBar) والتي يعني "انسان" في لغات قبائل (الجرامنتGarmantes) القديمة التي سكنت في الواحات الجنوبية للصحراء الكبرى. ومنها تم جاءت تسمية "بركو" او "بوركو" ("كوو" او "كاوو" تعني حجر او جبل) أي انسان الحجر نسبة الى الجبال في المنطقة، ومنها ايضا جاءت تسمية "بري بري" لسكان كانم من طرف سكان الهوسا[3]. و بالتالي فإن كلمة بورنو تطلق على الانسان اي الشعب و ليس على ارض.

و كانت بداية تداول اسم هذه المملكة عند نهاية عهد الملك دوناما، عندما بدات شعوب محلية مثل الساو، التوبو و البولالا المتمركزة في بحيرة فيتري تنتفض و تثور ضد الكانم و ذلك خلال البداية القرن123م. و بعد مائة سنة من الاضطرابات[4] أي حوالي سنة 1314م، قرر ملك كانم "**الماي عمر**" ترك كانم في الشمال الشرقي من التشاد الحالية من أجل الاستقرار في في بورنو الواقعة في الجنوب الغربي من بحيرة التشاد، أي في نيجيريا الحالية[5].

و رغم انه يصعب علينا في ظل ندرة المصادر ان نتعرف على طبيعة العلاقات بين كانم و بورنو قبل القرن 14م، و هو تاريخ انتقال الكانميين الى بورنو. لكن ابن سعيد خلال القرن الثالث عشر يذكر

---

(1) ابن سعيد المغربي، نفس المصدر السابق، ص95.

(2) العمري، المصدر السابق، ص96.

(3) Monteil (Vincent), Op.cit, p98.

(4) تذكر المصادر التشادية أن اربعة ملوك من اسرة السيفيين يكونوا قد قتلوا من طرف الساو و البولالا الثائرين ضد كانم. ديرك لانجي، المرجع السابق، ص262.

(5) Cornevin (Robert et Marianne), Op.Cit, p171.

مملكة مستقلة تقع غرب التشاد سماها جاجا[1] و هو ما يجعلنا نعتقد بأن مملكة بورنو كانت مملكة مستقلة، خاصة لما يذكر العمري بان سلطان مصر كان يتبادل الرسائل مع كل من ملك كانم و ملك بورنو[2].

3. من بورنو الى كانم بورنو:

في حدود القرن السادس الهجري/12م بدأ سكان كانم بالهجرة نحو الغرب للاستقرار في بورنو غرب بحيرة تشاد،و في غضون القرنالعاشر الهجري/16م ايضا قامت هجرة اخرى من التوبو الهاربين من هجمات ادريس الوما ضدهم،كما هاجر عدد كبير من عرب الكانم الى منطقة تشاد للبحث عن اراض اكثر خصوبة و اوفر أمنا[3]. خاصة وان هذه الفترة عرفت مجاعة كبيرة دفعت بزيادة الهجرة الجماعية[4]. و بهذا التقت جماعات التوبو مع العرب الكانم في غرب بحيرة تشاد و اطلق عليهم بلغة الكانوري (**الساو**) او الجماعة، و يذهب المؤرخون بان اربعة من ملوك كانم من الاسرة السيفية يكونوا قد قتلوا على ايدي هؤلاء الساو في معارك ضدهم[5].

و بذلك اضطر ملوك كانم من السيفيين الى ترك كانم والانتقال نهائيا الى بورنو والاستقرار بها بعد تزايد ضغط قبائل البولالا[6] . و كان انتقال ملوك كانم الى بورنو في عهد الملك الماي عمر[7] .

لكن الكانم استعادة ارض الاجداد كانم اين حدثت بينه و بين البولالا حروبا انتهت بإخضاع ملك البولالا (**دوناما بن سلما**) و قتله ثم عاد الى بورنو مرة اخرى[8] .و بهذا اصبح السيفيون يحكمون كانم و بورنو مع بعض، حيث تمكن دوناما علي (1472.1504م) كان يجلس على عرش كانم و عرش بورنو

([1]) المصدر السابق، ص94،و يذكرها ابن فضل الله العمري باسم كاكا.(مسالك الابصار،مصدر سابق،ص 95).

([2]) العمري، نفس المصدر،ص 28.

([3]) ديرك لانجي، المرجع السابق، ص262.

([4]) Y.Urvoy. histoire de l'empire du Bornou, Librairie Larose, Paris, 1949, p76.

([5])ديرك لانجي، المرجع السابق، ،ص 262.

([6]) البولالا قوم من الرعاة كانوا يعيشون في بحيرة فيتيري، قاموا بغزوات ضد الكانم.

([7]) Cornevin(Robert et Marianne).Histoire de l'afrique,Op.Cit,p171.

([8])Y.Urvoy. histoire de l'empire du Bornou, Op.Cit, p74.

معا و اقام عاصمته الجديدة في نكازاركامو(Ngazargamo)[1] و تولى الحكم من بعده عدة ملوك حكموا باسم مملكة كانم بورنو.

4. كانم بورنو في عهد الحاج ادريس الوما (952 - 953هـ / 1580.1617م) :

يعد ملكا عظيما وحد البورنوو استرجع الكانم و طرد العدوان، و لقد ترك لنا الامام ابن مؤرخ بلاد كانم برنو أحمد بن فرتو الذي عاش في عهده كتابا موسوم بتاريخ إدريس ألوما وغزواته وصف فيه حملاته العسكرية الخاصة باثنتى عشر سنة الاولى للملك ادريس الوما، كما وصفه هو شخصيا فقال: ((وكان السلطان إدريس ألوما شديد التمسك بالكتاب والسُّنة، شديد الكراهية لأهل البدع والمحدثات، ولقد حكم بالكتاب والسُّنة في عهد ملكه». [2]

و يعد ادريس ابن الملك علي و امه هي ابنة ملك البولالا عمر و كانت تسمى امسا، عندما توفي ابوه كان صغيرا في السن فانتقل الحكم الى ابن عمه دوناما ، ثم الى ابن هذا الاخير، فقامت امه بحمايته من هذان الملكان حتى لا يقتلانه، و أرسلته الى كانم و عند وفاة دوناما عبد الله و لم يكن له ابناء استدعته لتولية العرش[3].

عندما تولى ادريس الوما العرش بدأبشن هجمات على الشعوب الوثنية في الجنوب و اتخذ منهم العبيد الذين كانت تجارتهم رائجة، كما استقدم الى عاصمته الكثير من الكانميين و بالتالي حفظت كانم بورنو على لغتها الاصلية و هي الكانوري، كما حارب شعوب البولالا و الساو على حد سواء حتى لُقِّب بحارق «البولالا»، وحقق انتصارات عظيمة[4].

و كان لادريس الوما جيشا قويا و كثير العدد، مجهز و مسلح جيدا و اوكل قيادته الى كبار الضباط، و كان النبلاء من الجيش يركبون الخيول و يتخذون لباسا مطرزا و احذية من الجلد الاحمر و سترة

([1]) تقع 150كلم غرب بحيرة التشاد، في مقاطعة يوبي بنيجيريا الحالية ، و لازالت اثار هذه المدينة ظاهرة الى اليوم، بنيت هذه المدينة من طرف المي علي غاجي بعد نهاية حكم السيفيين، و كلنت هذه المدينة مركز تجاري وعلمي هام، يسكنها آنذاك حوالي 20الف نسمة.

([2]) تاريخ إدريس ألوما، ترجمة ونشر بالمر عام ١٩٢٦ م، بواسطة فضل كلود، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص107.

([3]) Y.Urvoy. histoire de l'empire du Bornou, Op.Cit, p75.

([4]) Cornevin(R et M),Op.cit,p171 ; Y.Urvoy,Op.Cit,p76.

قصيرة فضفاضة،لكن لا يوجد نظام انضباطي معين للجيش.[1] بل كان العمل العسكري يقوم على اساس النهب والسلب،و التركيز على عنصر المفاجأة، و رغم أن الماي ادريس كان محاربا محنكا و ذكيا استطاع ان ينتهج تنظيمات و تخطيطات عسكرية بارعة إلا أنها لم تعمر إلا بوجوده فقط[2].

و لما بنا عاصمته الجديدة جعل لها اربعة ابواب و جعل على كل باب حاجبا و اسكن بها الجنود من عساكره، و طلب من كل من لديه قوة و منعة من عماله ان يبنوا ديارا و يسكنوا فيها حتى يحصنوها[3].

و لما أدى فريضة الحج خلال السنوات الاولى لحكمه، كما ان مروره بمصر كانت لها فائدة كبيرة لهو تعلم منها الكثير. حيث اكتشف اهمية السلاح الناري بالنسبة للجيش لهذا جلب عن طريق القوافل التجارية عدة بنادق و اسلحة نارية من الدولة العثمانيةالتي كانوا يقايصضونها بريش النعام و جلود النمور و التماسيح و العبيد[4]، كما جلب معه المدربين الاتراك، و انشأ فيلقا خاصا بالفرسان المسلحين بالبنادق، و فيلق خاص بعبيد القصر. كما كانت لديه فرق خاصة بحاملي الدرق و فرق خاصة بحاملي الرماح، و هذه التحسينات في الجيش ساعدته كثيرا في حروبه ضد كفار الجنوب[5].

5. دور ادريس الوما في نشر الاسلام في كانم بورنو:

لقد عمل ادريس الوما كثيرا على نشر الاسلام و اعلان رايته، فعندما ذهب الى الحج قام ببناء بيت خاص به ياوي اليه هو و عبيده الذين يقومون بخدمته عندما يحج، كما قفام ببناء عدة مساجد حيث كان اول ملك سوداني يبني مساجد بالآجر بعدما كانت تبنى بالطوب و الحجارة و مغطاة بالحصير، كما شن حربا ضروس ضد المعصيات و الفاحشة و الزنا، و اعتنى بالارامل و الايتام و انفق

([1]) Y.Urvoy, Op.Cit, p76.

([2]) Ibid,p76.

([3]) آدم أديبايو سراج الدين،رؤية نقدية لكتاب تاريخ الماي ادريس و غزواته،للامام احمد برنوي، مجلة قراءات افريقية، عدد الثالث، ديسمبر2008م ، ص41 .

([4]) علي يعقوب،الثقافة الاسلامية في مملكة بورنو الاسلامية، مجلة قراءات افريقية، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية، العدد الخامس،يونيو 2010م، ص24.

([5]) Y.Urvoy, Op.Cit, p76.

عليهم، و اشتهر بحماسه و تمسكه بالشريعة الاسلامية، فقبل ان يتولى الحكم كانت الخلافات و الخصومات تحل من طرف مسؤول سياسي على الطريقة السودانية، لكنه منذ تولى الحكم في كانم بورنو امر بتعيين قضاة من الفقهاء المسلمين يحكمون على اساس الشريعة، و كان يقدم رأيه دائما للقضاة و يوجه لهم و يعرض عليهم القضايا بنفسه. و نتيجة هذه المجهودات الدعوية ان دخل في الاسلام جميع اعيان ونبلاء الدولة، واصبح الشعب باكمله يلجأ الى الشريعة الاسلامية في شؤونه اليومية[1].

و بهذا تكون مجهودات ادريس الوما توجت مسيرة خمسة قرون من المجهودات لانتشار الاسلام في بلاد السودان من خلال الانتشار اخيبر ا في صفوف الطبقات العمة من المجتمع السوداني بعدما كان مقتصرا على طبقة الحكام و النبلاء.

أما بخصوص استبدال القوانين و العادات الوثنية القديمة بقوانين اتلشريعة الاسلامية في الحياة اليومية فإنه يمكن ان نقول بأن ذلك اقتصر فقط على الشعب الكانوري و الاراضي الخاضعة مباشرة للسلطة المرلاكزية في كانم بورنو[2] .

و بالاضافة الى كل هذا فقد اجتهد ادريس الوما في تطبيق الشريعة و خاصة في الحروب، اذ انه كان يطلق سراح الاسرى اعدائه من البولالا في حربه معهم معتبرا أن الحرب هي بين مسلمين، ولم يقم باستعبادهم كما كان يفعل مع الوثنيين في الجنوب[3].

6. ضعف المملكة و ظهور محمد الامين الكانمي:

توفي الماي إدريس ألوما في عام 1603 م تاركاً مملكة واسعة المساحة متمتعة بالأمن[4]. و بعده خلفه عدد من المايات الذين حافظوا على انجازاته و واصلوا غزواتهم و حققوا انتصارات باهرة، وحافظوا على ازدهار المملكة لبعض السنوات و خاصة في عهد خلفائه الثلاثة الاوائل و هم ابناؤه

([1])Ibid ,p83.

([2])Ibid,p84.

([3]). Y.Urvoy, Op.Cit,p84

([4]) علي يعقوب،الثقافة الاسلامية في مملكة بورنو الاسلامية،مرجع سابق،ص24.

الماي محمد الملقب بـ بوكالمارامي (Boukalmarami) الذي حكم بين 1617 و1632م ثم الماي ابراهيم(1632 .1639م)، ثم الحاج عمر (1639 ـ 1657م) قبل ان تبدأ في التدهور بسبب ظهور امراء ضعاف، وبداية الاعتداءات الخارجية، و انتشار المجاعات.

إذ عرف الماي علي ابن الحاج عمر تمردات واسعة خلال عودته من الحج في سنة 1667م متمثلة في هجمات التوارق في منطقة الآير، و هجمات كواررافة (اهل كوار) و رغم ارساله عدة حملات تاديبية ضد هؤلاء التوارق المتمردين لكن بدون جدوى، بل تعرض الى الحصار عدة مرات في عاصمته، كما عرفت البلاد في عهده مجاعة كبيرة، و دخلت البلاد بعدها في اضطراب و فوضى و انعدم الامن تحت حكم ابنه ادريس و دوناما ابن علي الذي عرفت البلاد في عهده مجاعة دامت سبعة اعوام[1].

و امام هذا الوضع ظهر احد الشيوخ العلماء البارزين و هو الشيخ محمد الامين الكانمي، و هو من مواليد منطقة فزان في ليبيا، عمل على نشر الاسلام و ثقافته في السودان الاوسط و حارب البدع والتقاليد الوثنية العالقة بالاسلام الافريقي، و كان يحث على الجهاد، استقر في كانم و تزوج من ابنة امير من امراء كانم بورنو.

و لما تعرضت البلاد الى غزو الفلاتة بزعامة محمد عثمان دان فوديو نظم جيشا صغيرا من الكانميين وتصدى لتوغل قوات دان فوديو نحو بحيرة تشاد و انتصر عليهم فاستدعاه السلطان احمد بن علي وطلب منه الاستشارةو العون في محنته لرد خطر الفولاتيين فكتب الشيخ الكانمي ثلاث رسائلأ إحداها الى قائد جيش الفلانيين الزاحف و رسالتين الى زعماء بورنو المنافسين و المتصارعين على السلطة، وطلب منهم الاتحاد و أن يضموا صفوفهم لمواجهة الخطر المشترك، لكنه لم يتلق منهم ردّا، سقطت العاصمة في ايدي الفلاتة هرب السلطان احمد الى الشمال حجيث توفي هناك ، وتولى الحكم من بعده ابنه دوناما بن احمد، الذي تنظيم جيشه بمساعدة الشيخ الكانمي و العودة الى

[1],Ibid,p85.

العاصمة وتحريرها من الفلاتة و قتل قائدهم سنة1811من لكن الفلاتة تمكنوا مرة اخرى من الهجوم على العاصمة البرناوية و هرب الماي دوناما منها[1].

و هنا اتستغل محمد الامين الكانمي الوضع و اصبح الحاكم الفعلي لمملكة بورنو عام1809م، واتخذ من مدينة كاكا عاصمة له، وبدأ عهد جديد من تاريخ المملكة و هوعهد حكم شيوخ الدين، حيث اصبح الملوك يلقبون باالشيوخ، و بقي هذا اللقب ملازما لابناء و احفاد الكانمي الذين حكموا من بعده الى غاية القرن19م أين تعرضت للاستعمار الاوربي سنة 1894م[2]. وسقطت مملكة كانم بورنو الاسلامية.

(1) علي يعقوب،الثقافة الاسلامية في مملكة بورنو الاسلامية،مرجع سابق،ص25.

(2)نفسه، ص25.

المحور السادس: ظهور مملكة الصوصو وسيطرتها على منطقة النيجر

إن سقوط إمبراطورية غانة أمام هجمات المرابطين و تفككها، كان عاملا لظهور ممالك جديدة كانت في الأصل تابعة للإمبراطورية المنهارة.حيث استغلت هذه الممالك الفرصة للبروز كدول مستقلة ، ولعب دور في منطقة النيجر والسنغال العلويين منذ أواخر القرن الخامس للهجرة. ولعل أهم هذه الممالك الناشئة مملكة "الصوصو"، التي استغلت تراجع سلطة ملوك غانة وانحصارها على منطقتي أوكار وباسيكونو لتعلن انفصالها عن المملكة الأم، وتحقق استقلالها. ومافتئت أن توسعت حتى أصبحت إمبراطورية واسعة[1]، وأعلنت نفسها سيدة وخليفة الملك الغاني، وفرضت الجزية على مجموع شعوب المنطقة[2].

وتعد إمارة الصوصو من الممالك التي كانت تجاور مملكة غانة من جهة الشرق[3] ، وهي من الممالك القديمة في السودان الغربي، و هي امارةاشتهرت باسم الشعب الذي يسكنها وهو الصوصو[4] الذي يعد من العناصر الزنجية العريقة في السودان الغربي. كما يعد من العناصر السوننكية المنتمية إلى شعوب ماندينغ الشمال[5]، وهناك من ينسبهم إلى المالنكي نظرا لمجاورتهم لهم[6]. لكن الروايات الشفوية المحلية تنسبهم إلى إحدى العائلات السوننكية التي استقرت في منطقة الأوكر خلال فترة حكم الملوك البيض لواغادو(غانة)، حيث كانوا من أحفاد خدم الإمبراطور الغاني ذي الأصول البربرية، والذي حكم غانة قبل استيلاء السوننكي على السلطة في غانة[7]. وكانت هذه العائلة تدعى

(1) Amado (Bano Barry), Op.Cit p63

(2) ابن خلدون، العبر، المجلد السادس، ص 435.

(3) Delafosse :Haut S-N, tome 2,p162

(4) يذكر دولافوس بأن الاسم الأصلي لهذا الشعب هو"صوصي Sossé " وأن ابن خلدون هو الذي حرفه إلى صوصو. .
Delafosse :Haut S-N, tome 2,p162

(5) Delafosse(M) :Haut S-N,tome 1,p265

(6) نياني(تمسير جبريل)،تاريخ إفريقيا العام، مج 4، ص137.

(7) Delafosse , Op.Cit, p265.

عائلة "دياريسو". وحسب الروايات الشفوية دائما فان هناك عدد كبير من العائلات السوننكية التي كانت مقيمة في دياغا (Diagha)[1]، هاجرت مع نهاية القرن السابع للميلاد إلى منطقة واغادو، وفي طريقها مرت بعدة مناطق محاولة تأسيس مستعمرات لها. وكان قائد تلك الهجرة والملقب بديغنا (Digna) هو الجد الأول للعائلة الملكة قد غادر دياغا على رأس 300 رجل مسلح ، وأسس في طريقه عدة مستعمرات اتحدت فيما بينها مكونة دولة قوية ن هي مملكة واغادو أو غانة[2].

ومع نهاية القرن السابع للميلاد استدعى ملك غانة زعيم إحدى العائلات المهاجرة ويدعى غوماتي فادي (Ghoumaté-Fadé) وهو جد عائلة "دياريسو" أو"دياريسي"، ومنحه الجزء لشمالي من المملكة الذي يضم بيليدوغو(Belédougou)، و دياميرا . صوغونا (Diaméra-sogona) بالإضافة إلى الجزء الجنوبي لكانياغا(Kaniaga)[3]. وكان يحكم هذه المناطق باعتباره موظفا لدى ملك واغادو(غانة)، لكن بعد مرور أربعين سنة تحول غوماتي–فادي إلى زعيم مستقل لإمارة صغيرة تسكنها عائلته وعائلات دياميرا– صوغونا. لكن هذه الإمارة الفتية ما لبثت أن ضمنت إلى إمبراطورية غانة، و شكلت مملكة صغيرة تابعة لها[4].

= للإشارة فان مملكة غانة حكمها البيضان في أول أمرها، وهم من المهاجرين من شمال إفريقيا، وامتد حكمهم من القرن الأول الميلادي إلى غاية نهاية القرن الثامن الميلادي، حيث انتقل الحكم إلى أسرة السوننكي السودانية.(الدالي الهادي مبروك، التاريخ السياسي والاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء. الدار لمصرية اللبنانية، القاهرة، طبعة أولى، 1999م، ص ص 24و25).

1) دياغا Diagha أو دياكا diaka، وهي المنطقة الممتدة من "ديبو Débo" إلى "سانساندينغ Sansanding" على نهر النيجر، و تعد مهد الماندي أو مالي القديمة.(Delafosse :Op.Cit, p265)

(**2**) Delafosse ,Op.Cit, p265, p265

3)كانت كانياغا تقع شمال بلاد ماندي، وقد أطلق عليها المالنكي اسم كانييكا **Kanieka** وتعني في لغتهم الشمال، ثم حرفه السراكولي وتحول إلى كانياغا انظر:

Moussa Fofana ,Point d'histoire, le royaume de sosso Ou Kiniaga. in Site : http:// www.maliweb.net/catégory. Consulté le:30-07-2007.

بقي وضع هذه المملكة كتابعة لإمبراطورية غانة إلى غاية الهجوم المرابطي عليها عام 469 هـ /1076م، حيث تسبب هذا الغزو في حركة هجرة واسعة في صفوف السوننكي، وهرب عدد كبير من سكان الإمبراطورية، وغادروا منطقة الأوكر، واتجهوا نحو كانياغا أين التحقوا بأبناء جلدتهم[1]. وأسس السوننكي في كانياغا الدولة التي تزعمتها عائلة "دياريسو" المنحدرة من الجد غوماتي- فادي[2]. وقد ساعد على إقامة هذه المملكة تلك الهجرات الفلاتية القادمة من بلاد التكرور، حيث تزوجوا من فتيات أحدى قبائلهم المهاجرة والتي تسمى صو (Sow)، فأطلق على بلدهم اسم "صوصوبي" والذي عندما اختصر أعطى "صوصو". وهناك روايات أخرى تقول بأن كلمة صوصو تعني بالسوننكي بلاد الأحصنة[3]. وبعد وفاة أبي بكر بن عمر، وزوال عهد المرابطين في غانة، باستقلال هذه الأخيرة، فان ملوك غانة لم يعودوا أقوياء بالدرجة التي تسمح لهم باستعادة سيطرتهم على المملكة الصغيرة التي ظهرت في الجنوب، حيث حافظت كانياغا على استقلالها، وأصبحت تطمح بدورها لكي تصبح إمبراطورية [4].

وتروي الروايات الشفوية المحلية، بأن عائلة دياريسو ضمت سبعة أمراء تعاقبوا على الحكم منذ سقوط غانة عام469هـ /1076م إلى غاية سنة 575هـ /1180م. أولهم كان يدعى "كمبيني دياريسو" والذي ينحدر من سلالة غوماتي . فادي. وكان مسنّا عندما نظّم الدولة مباشرة بعد سقوط غانة، حيث أقام عاصمته في منطقة قريبة من غيسيني (Guessené) التي أصبحت تسمى فيما بعد صوصو. وبعد وفاته خلفه ابنه سليمان سنة 482هـ/1090م، أي بعد وفاة الأمير اللمتوني أبي بكر بن عمر. ثم جاء بعده ابنه بانا–بوبو(Bana- Boubou) الذي حكم بين سنتي (423 و 513 هـ/

(**1**)Delafosse :Op.Cit, p163

(**2**) Ibid,p267

(**3**)Moussa (Fofana) ,Op.Cit – Fage (J.D) ,Op.Cit,p120. نبيلة(حسن محمد)، المرجع السابق ص221 .

(**4**)Delafosse (M) ,Haut S-N, tome2, p163

1100و1120م)، و خلال فترة حكم هذا الأخير ظهر الفلاتة في كانياغا قادمين من الغرب، أين استقبلتهم عائلة دياريسو[1]. لقد حكم بعد بانا–بوبو ابنه ماخان (Makhan) بين (513 و 524 هـ/1120و1130م) والذي عرف أيضا باسم " واغادو ماخان"، لأن أمه كان أصلها من واغادو، وكانت قد أنجبته هناك. ثم خلفه الملك غاني (Gané) الذي حكم بين 524 و534 هـ/ 1130و 1140م، ثم جاء بعده الملك موسى (534 و 554هـ/1140 و1160 م)، ثم بيراما (بين 554 و 574هـ/1160 و1180 م). وكلهم ينحدرون من سلالة كمبيني ودياريسو الحاكمة، حيث كان بيراما هو الآخر أميرا من عائلة دياريسو[2]. ولقد كانت عائلة دياريسو الحاكمة وثنية شرسة، لم تعتنق الإسلام لما انتشر في ربوع غانة، واستمرت في عدائها الشديد للمسلمين[3]، وكانوا يمارسون منذ القدم الزراعة والصيد بالإضافة إلى ممارستهم للتجارة[4]

إن المصادر التاريخية لا تتحدث كثيرا عن مملكة الصوصو لما كانت تحت حكم أسرة دياريسو، واكتفت المصادر الشفوية بنقل الروايات الخاصة بنشأتها وأصولها، وهذا ربما يعود إلى أن هذه الحقبة تم تغطيتها من طرف الحقبة التي تلتها، والتي كانت أكثر أهمية منها، وذلك بظهور أسرة كانتي على مسرح الأحداث. ذلك أن الأمير بيراما وهو آخر أمراء الصوصو ينتمي إلى عائلة دياريسو ترك تسعة أبناء من زوجتين مختلفتين، ولما توفي حاول ابنه الأكبر من المرأة الأولى أن يستولي على الحكم ، لكنه وجد منافسة شديدة من طرف أخيه البكر الآخر من الزوجة الثانية.أما الإخوة الآخرون فكل واحد منهم انظم إلى أخيه الحقيقي ضد الأخ من الأب فقط، مما أدى إلى اندلاع حرب حقيقية بين الطرفين، وقد شعر أبناء المرأة الثانية بأنهم ضعفاء، لذلك استنجدوا بزعيم يسمى ديارا–كانتي -Diara)

(1) Delafosse (M) ,Haut S-N, tome2, p163

(2) نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص197 .

Delafosse (M), H S-N, tome2, P16. Moussa(Fofana) ,Op.Cit.

(3) Devery (Muriel) , La guinée. Edition Karthala, Paris, 2009, p75.

(4) Alhassane (Chérif) ,L'importance de la echez parol les Mandingues de la Guinée, Editions l'harmattan, Paris, 2005, p47

(Kanté، وهو أحد أكبر القادة العسكريين المخلصين لآل دياريسو وللزعيم الراحل بيراما. فتدخل ديارا كانتي لصالح أبناء المرأة الثانية، فانتصروا على إخوانهم ،لكن هؤلاء المنتصرين اختلفوا هم بدورهم فيما بينهم مرة أخرى حول من يعتلي العرش منهم، فدخلوا في صراع جديد، لكن هذه المرة كان الصراع بين الإخوة الأشقاء، وهو ما جعل القائد ديارا كانتي يستغل هذه الفوضى والاضطرابات ويستولي على العرش، ويفتك الإعتراف به كإمبراطور من طرف النبلاء، وقام بنفي كل أبناء بيراما إلى منطقة كارتا (Kaarta) وهكذا انتقل الحكم في مملكة الصوصو في كانياغا من عائلة دياريسو إلى عائلة كانتي[1].

هناك اختلاف كبير بين الروايات الشفوية المحلية حول أصل القائد ديارا كانتي، فبينما تنسبه معظم الروايات إلى طبقة الحدادين[2]، فان روايات أخرى تنسبه إلى طبقة المحاربين[3]، وهناك من يجعله يشترك في النسب مع آل دياريسو النبلاء[4]، وبذلك يجعلونه من الونغارا، وهم التجار السوننكي[5]. ونحن نعتقد بأن هذا الاختلاف مرجعه إلى المكانة التي كانت تتبوؤها الحرف والمهن عند الماندينغ عموما وعند السوننكي خصوصا، إذ أن التقسيم الطبقي للمجتمع، والمكانة الاجتماعية للعائلات وأفرادها إنما تتحدد انطلاقا من الحرف. فنجد أن هذه المجتمعات كانت مقسمة إلى عدة طبقات على أساس الحرف التي يمارسونها .فطبقة المحاربين والرواة الشفويين ورجال الدين كانت تتربع على عرش الطبقات الاجتماعية، وكانت تعرف بالطبقات النبيلة أو الارستقراطية بمفهومنا الحديث، بينما تقبع في أسفل السلم الاجتماعي طبقة المنبوذون من الحدادين والعبيد[6]. لهذا نجد من المؤرخين الأفارقة من يحاول أن ينكر كل الروايات التي تدعي انتساب آل كانتي إلى طبقة الحدادين ويحاولون إثبات نسبهم

([1]) Delafosse (M) , H S-N, tome 2, p165.

([2]) Nambala(Kanté)et Erny(Pierre) , Forgerons d'Afrique noire. Transmission des savoirs traditionnels en pays Malinké. Éditions l'harmattan, Paris, 1993, p50

([3])Delafosse (M) ,Op.Cit, p165

([4]) Mussa (Fofana) ,Op.Cit

([5]) نبيلة حسن محمد، المرجع السابق، ص 197.

([6]) انظر: Majhemout(Diop) ,Histoire des classes sociales dans l'Afrique de l'ouest. Le Mali. Editions ,l'harmattan, Paris, 1985, pp43 et 44 .

إلى عائلة نبيلة، من منطلق تمجيد التاريخ القومي، ويستندون في ذلك إلى وظيفة ديارا كانتي كقائد حرب عن استيلائه على الحكم، وحجتهم في ذلك أن طبقة المحاربين هي من النبلاء[1]. ومنهم من لا يكلف نفسه مهمة إنكار نسبة آل كانتي إلى طبقة الحدادين، ولا يجد حرجا في أكيد هذا النسب، بل يذهب بعضهم إلى إثبات نبل مهنة الحدادة، ومن ورائها طبقة الحدادين، حيث يذهب هؤلاء إلى أن الحدادين كانوا أشخاصا عاديين، بل أكثر من ذلك كانوا محبوبين من طرف عامة الناس، ويشيرون أيضا إلى أن هذه المهنة بقدر ما كانت مخيفة فإنها كانت نبيلة في نفس الوقت. ومنهم من يذهب إلى أبعد من ذلك عندما يدّعون بأن كبير رجال الدين (وهو الزعيم أو الملك) يكون دائما من طبقة الحدادين عند الماندينغ، وبذلك يقولون بأن انتماء ديارا كانتي لطبقة الحدادين هو الذي جعله يصل إلى عرش مملكة الصوصو[2]. ومهما كانت التبريرات التي قدمها أصحابها، فإننا نعتقد بأن ديارا كانتي كان ينتمي إلى طبقة الحدادين، وذلك حسبما تؤكده أغلب الروايات الشفوية وتتغنى به، ثم ارتقى إلى طبقة المحاربين مستغلا الشقاق الذي دبّ في أوساط عائلة دياريسو، إلى أن أصبح قائدا للجيش. أما الاسم الذي أطلق على هذه العائلة وهو كانتي(Kanté) فان أشهر الروايات التي يرويها المالنكي ترجعه إلى فترة اعتلاء زعيم الصوصو الجديد للحكم، عندما خطب في السكان قائلا لهم:((يا سكان ماندي، إنني أول ملك أصله من هذا البلد، وتعلمون كلكم ذلك، وان القوانين التي تحكم الممالك المنضوية تحت إمرتي يجب أن تلقى الإجماع كلها، فأنا لم أخترعها فهي لم تصدر مني.))، وكانت كلمة (لم تصدر مني) تنطق بالمالنكي بالشكل التالي: (ني كانتي Né - Kanté)، ومنها أخذ المالنكي اسم العائلة التي أصبحت تحكم بلاد صوصو[3].

بدأ حكم آل كانتي حوالي عام 574هـ/1180م، ولم تضم هذه العائلة سوى ملكين فقط وهما "ديارا كانتي" وابنه "سومنغورو كانتي"[4] لم تحظ فترة حكم ديارا كانتي بكثير من الاهتمام والتفاصيل

([1]) Amadou (Hampàté Bà) , Histoire du Sahel occidental Malien , Des origines à nos jours .Éditions ; Jamana, 1989, p244.

([2]) Majhemout (Diop) ,Op.Cit, p53.

([3]) Mussa (Fofana) ,Op.Cit.

([4])Delafosse(M) ,H S-N tome2,p165

من طرف المؤرخين على عكس فترة حكم ابنه سومنغورو أو"ساوماورو" الذي تمجده الروايات الشفوية الخاصة بالسوننكي باعتباره مؤسس إمبراطورية استطاعت أن تهيمن على المنطقة العليا من النيجر والسنغال، وأن تخلف الإمبراطورية الغانية المنهارة وتحل محلها. كما تذكره المصادر الخاصة بالمالنكي وتصوره كأكبر طاغية ارتكب مجازر فضيعة في حق الكثيرين منهم، وفي مقدمتهم آل كيتا. لكن يبقى ديارا كانتي هو مؤسس أسرة كانتي الوثنية التي ملكت رقاب الصوصو، و التي عرفت بكرهها الشديد للإسلام والمسلمين[1]. والتي بدأت تتوسع على حساب الأراضي المجاورة لها،و خاصة أراضي المملكة الغانية، وأخذ بذلك يمهد لقيام إمبراطورية واسعة ستقوم على ساعدي ابنه سومنغورو.

بعد وفاة ديارا كانتي عام 1200م انتقل عرش مملكة الصوصو لابنه سومنغورو، الذي ورث عن أبيه مملكة تضم ستة عشر مجمعا سكانيا تابعا للماندينغ[2]، ثم بدأ هو بغزو الممالك الصغيرة المجاورة لمملكته، وأسس جيشا منظما وقويا، وبدأ يتطلع للسيطرة على جميع بلاد الماندي[3]. فلقدك ان سومنغورو غازيا كبيرا، وضع نصب عينيه إقامة إمبراطورية كبيرة للصوصو تكون على حساب غانة والممالك المجاورة له[4]، وبالتالي أصبحت مملكة الصوصو في عهده القوة الضاربة في منطقة نهر النيجر والسنغال بدون منازع إلى غاية ظهور سوندياتا كيتا مؤسس إمبراطورية مالي.

(1) Devey(Muriel) ,Op.Cit, p76.

(2) Nambala (Kanté) ,Op.Cit, p48. نياني (تمسير جبريل)، المرجع السابق، ص 137

(3) Cissé (Youssouf tata) : Notes sur les sociétés des chasseurs Malinké. Journal de la société des Africanistes .Tome 34, fascicule n°2, 1964, pp220 et 221.

(4) بانيكار (ك.مادهو)، الوثنية والإسلام . تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا. ترجمة:أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ،1998، طبعة2، ص93.

المحور السابع : مملكة الموشي (الموسي) في منطقة الفلولتا

تعد هذه المملكة من ممالك منعطف النيجر ومنطقة الفولتا، والتي رغم الإشارات المهمة التي أفادتنا بها الحوليات السودانية كتاريخ السودان لعبد الرحمان السعدي،وتاريخ الفتاش لمحمود كعت، إلا أنها لم تحدد لنا إطارا تاريخيا دقيقا لبداية تشكل هذه المملكة أو تسلسلها الزمني. وعموما فإننا إذا ما حاولنا أن نحلل المعلومات التي زودتنا بها أهم المصادر المكتوبة المتعلقة بهذه المملكة، فإننا نجد بأنها كانت موجودة وتتمتع بقوة خلال منتصف القرن السابع للهجرة/13للميلاد، إذ يذكر محمود كعت قيام الموشيين بغارات على مملكة سنغاي،[1] وهي الفترة التي كانت لا تزال فيها مملكة مالي تتمتع بقوتها ومجدها.كما يخبرنا السعدي بأنه خلال عهد حكم منسا مغا خليفة الملك منسا موسى، قدم ملك الموشي بجيش عظيم، وقام بغزو مدينة تمبكتو التي كانت في حظيرة الماليين، فخاف أهلها وتركوها هاربين، فدخلها الموشيين وأحرقوها وخربوها وقتلوا من قتلوا ونهبوا ما فيها من أموال.[2]

كان هذا الحدث يصادف فترة حكم ملك سونغاي "زا باري" أو (زابير) كما يسميه السعدي،[3] وحتى خليفته من بعده "زا أسيباي". كما نجد في تاريخ السودان ما يفيد بتعرض مدينة تمبكتو التي كانت في حظيرة الماليين للغزو، فخاف اهلها وتركوها هاربين، فدخلها الموشيين وأحرقوها وخربوها، وقتلوا من قتلوا ونهبوا ما فيها من أموال،[4] وهذا كله يفيد بأن مملكة الموشي عاصرت إمبراطورية مالي خلال أوج قوتها وعظمتها، بل نافستها وهددت أمنها.

ولم تكن مملكة الموشي مجرد جماعة من المحاربين الذين لا يفقهون إلا الغزو والنهبصظ والسلب كما يتوهم الكثيرون، بل كانت تمثل شعبا منظما سياسيا وعسكريا في اطار عدة ممالك انتشرت في

([1]) Tarikh el fettach ,p85
([2]) Ibid,p33

4)تاريخ السودان:ص3 .
5) نفسه، ص9 .

إقليم الموسي الذي تعد واغادوغو مركزه، والذي يمتد إلى غاية منطقة تونكودوغو (Tenkodogo) وفادا نغورما (Fada Ngourm) حيث يضم عدة فروع وأجناس موسية، منها موسي الشمال الذين زحفوا إلى منطقة ياتنغا من الجنوب الشرقي، وقد لعبوا دورا مهما في منطقة منعطف النيجر خلال منتصف القرن السابع للهجرة/13م[1]. فعندما نتكلم عن امبراطورية الموشي إذن فإننا نقصد إثنتين هما واغادوغو في الجنوب، والتي لم تضطلع بدور كبير في تاريخ السودان الغربي، ومملكة الموشي الشمالية التي أسست امبراطورية ياتنغا، والتي لعبت دورا بارزا في منطقة النيجر الاعلى من خلال غزوها لاراضي المندينغ وصراعها المرير مع آل سني في مملكة السنغاي.[2]

لكن يبقى الاطار التاريخي والجغرافي لامبراطورية ياتنغا الموشية محفوف بالغموض وقلة المصادر المكتوبية عنها. فالروايات الشفوية تقول بأنهم قدموا من الجنوب أي من شمال غانة، وكان لملكهم نابا نديغا(Naba N'dega) بنت جميلة وشجاعة تدعى ياننغا (Yaninga) وقد التقت هذه الفتاة في الغابة بصياد للفيلة وهو من أصول مندية يدعى ريالي(Rialé) فأنجبت منه طفلا سمي ودراوغو(Ouedraogo) الذي يعني الحصان الذكر، فكان ودراوغو هذا هو الذي يقود المحاربين الموشي نحو الشمال، وكان له ابنا يدعى زونغرانا(Zoungrana) هو الذي يعود له الفضل في تأسيس أول مملكة للموشي في تونكو دوغو(Tengotogo).[3] ولما تزوج هذا الأخير أنجب ولدا اسمه أوبري (Oubri) الذي أسس أول مملكة خاصة بالموشي من أصل موغو نابا، وعرفت هذه المملكة بمملكة ياتينغا (Yatenga) أو ياديغا تينغا(Yadega tenga)، واتخذت مدينة أوهيغويا (Ouhigouya) عاصمة لها، وهي المملكة التي حاربت مالي، وسنغاي.[4] ويشير مصدر نادر خاص بتاريخ الموشي وجده الباحث "بوبو حاما" (وهو مخطوط

([1]) Tauxier(L) , Le noir de Yatenga, (Mossi, Nioniosses, Samos, yarses, Silmi, mossis Peuls) . Edit Emil Larose librairie editeur, Paris,1917,p9 .

([2]) Labouret(Henri) , Histoire des noirs de l'Afrique,p77.

([3]) تونكودوغو (Tengotogo)هي مقاطعة تابعة لامارة بولغو(Boulgou) بجمهورية بوركينافاسو الحالية، و تقع في وسط شرق البلاد على بعد 185كلم جنوب شرق العاصمة واغادوغو.

(8) Froment(Alain) ,Le peuplement humain de la boucle du Niger. Editions de l'orstom, institut français de recherche scientifique pour le dévloppement en coperation, 1988 , p24

مكتوب بالعربية يعود إلى القرن التاسع للهجرة/15م ولم ينشر بعد) إلى أن الموسي القادمين من الشرق أنشأوا على الضفة اليسرى لنهر النيجر دولة تدعى ديامارا عاصمتها روزي، وتكون قد استمرت لمدة خمس قرون أي من القرن الثاني إلى القرن السادس الهجريين/8 و 12م، وخلال القرن السادس للهجرة/12م أسس الموسي مملكة ديامارا الثانية وعاصمتها "مندجي" بعدما هاجروا من مدينة روزي تحت ضغط البربر، لكن ديامارا الثانية لم تعمر كثيرا بسبب تعرض الموسي لمجاعة مهلكة، وأخيرا استقروا في شاطئ غورما[1]. وأتخذوا مدينة فادا . ن . غورما (Fada-N-Gourma) عاصمة لهم[2]. لذا فيمكن أن تكون دولة ديامارا الثالثة هي المرحلة التي عاصرت قوة مالي، والتي تكون قد بدأت في القرن الحادي عشر للميلاد/ الخامس الهجري حسب استنتاجات دولافوس[3]، ومما يوحي لنا بأنها كانت موجودة خلال القرن السابع للهجرة/13م، هو عندما سئل الملك منسا موسى من طرف ابن أمير حاجب عندما كان بمصر إن كان له أعداء بينه وبينهم حروب وقتال، قال:نعم، عدو، وشديدهم في السودان كالتتار لكم، وبينهم وبين التتار مناسبة (أي تشابه) من جهات منها: وساع الوجوه، فطس الأنوف، ولنا ولهم وقائع، ولهم بأس شديد بإصابة رميهم نشاب،وبيننا وبينهم نوب، والحروب ثارات[4]. وبالتالي يمكننا أن نلاحظ أن هذه الصفات التي أوردها منسا موسى تتطابق مع شعوب الموسي الذين عاصروهم[5].

([1]) ميشيل ايزارد:شعوب وممالك منعطف النيجر وحوض الفولتا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر. مقال ضمن كتاب :تاريخ إفريقيا العام، المجلد الرابع، تحت إشراف: جبريل تمسير نياني،صدر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988، ص ص 223 وما يليها.

([2]) إن اسم هذه المدينة هو يونغو Youngou أو يونغا Younga، ولكن الهوسا همن منحوها فيما بعد اسم فادا ن غورما، والتي تعني في لغتهم (عاصمة الغورما) نسبة إلى فرع من الموسي، أو ما يعرف بموسي الشمال.

Delafosse(Maurice) :Haut Sénégal -Niger,tome1,p311

([3]) Delafosse(Maurice) ,Haut Sénégal -Niger,tome1,p311.

([4]) العمري (أبو الفضل): المصدر السابق، ص120.

([5]) في دراسة أكاديمية قدمت بكلية الآداب بجامعة باريس سنة1909م، أورد صاحب الدراسة مجموعة من الصفات الجسمانية التي قال بأنها تميز الموسي عن غيرهم وهي أنهم يتميزون عامة بقامة طويلة، ولون بشرتهم سمراء تميل إلى الحمرة، وقليلا جدا ما...

ورغم أن المصادر لم تذكر إلا غزو الموشيين لتمبكتو سنة 733هجرية/ 1333م وغزو ولاته سنة 884 هـ/1480، م إلا أننا نستنتج من كلام منسا موسى بقوله(وبيننا وبينهم نوب، والحروب ثارات) بأن الموشيين كانوا في حالة حرب دائمة مع إمبراطورية مالي، ولا أدل على ذلك من أنهم يعتبرون الوحيدون الذين لم يخضعوا لمالي في منطقة النيجر والسنغال العلويين، وهم وحدهم من بقوا على وثنيتهم. لذلك بقوا مصممين على احتلال الأراضي المالية ونهبها ولم يصدهم عن ذلك ويدفعهم إلى حدودهم الحالية إلا آل سني وآل أسكيا ملوك سنغاي، حيث حاربهم سني علي سنة 885 للهجرة/ 1480م عندما دخل مدينة بير وحاصرها وخربها، فغلبهم وسبا نساءهم[1]، كما حاربهم الأسقيا محمد سنة 902 هجرية/1497م، بعد أن دعاهم إلى الإسلام فقتل رجالهم وخرب أرضهم وديارهم وسبي أولادهم ونساءهم[2].

ويبدو أن اعتداءات الموسيين على مالي لم تتوقف، حيث أنه خلال نهاية القرن التاسع للهجرة/15م، طلب منسا مالي من ملك البرتغال أن يدعمه لكي يحتمي به من الموسيين، لكن الملك البرتغالي لم يجبه على طلبه لأن البرتغاليين كانوا يعتقدون بأن الموسيين كانوا مسيحيين،لذلك لم يكن بوسعهم الوقوف إلى جانب المسلمين ضد إخوانهم المسيحيين[3].

=نصادف موشيا أسود تماما، كما أن جبهتهم عريضة وتأخذ شكلا محدبا ، وعظامهم بارزة، وأنفهم عريض وأفطس، فمهم عريض لكن شفتيهم تعد أقل بروزا وذقنهم قصير.

Lucie (Marc) , Le pays Mossi. Thèse de doctorat présentée à la faculté des lettres de l'université de Paris. Editions Emile larose libraire-éditeur, Paris, 1909, p117.

([1]) السعدي، المصدر السابق، ص 69 .

([2]) نفسه، ص 74 انظر ايضا : Mahmoud Kati,Op.Cit, p134

([3]) Froment (Alain) ,Op.Cit,p24 .

المحور الثامن: ممالك الهوسا في نيجيريا

تقع بلاد الهوسا فيالمنطقة الممتدة من جبال الآير شمالا الى جنوب هضبة جوس في نيجيريا جنوبا، و من الحدود الشرقية لمملكة بورنو الى نهر النيجر غربا. و كانت هذه الارض تسمى كازار و هو تحريف لكلمة قصر، حيث كان يقال لهالا قصر الهوسا أي بلاد الهوسا، و اطلق عليها اسم هوسا نسبة الى لغتهم المسماة بالهوسية.

أولا:أصل الهوسا:

هناك من يزعم بان ينحدر من اصل عربي جاؤوا من بغداد، و هناك من يقول بانهم كانوا يقيمون بجنوب الصحراء و ذلك قبل ان تتحول الى صحراء، وعند حلول الجفاف بالمنطقة هاجر الهوسا نحو الجنوب، اين دحروا الشعوب التي كانت تسكن نيجيريا.

وهناك فريق رآخر يقول بأن الهوسا قدموا من بحيرة التشاد حيث كانوا يمتهنون الصيد النهري و الزراعة و تحولوا الى مزارعين ، و من ثم امتدت هذه الحضارة نحو الغرب والشمال الى ان عمت مناطق كاتسينا و جوبير و زمفرة و كبي.

و لكن الروايات الشفوية المستقاة من المصادر المحلية تقول بان الهوسا لم يزحفوا من أي مكان و انما هم عناصر محلية ثم استفادوا من الهجرات القادمة من الشمال و من الشرق، ثم جاءت بعض شعوب الونغارا و الديولا و الفلاتة و استقرت ببلادهم. حيث كانت بلاد الهوسا الى وقت بعيد تمتد حتى الصحراء قبل ان يطردهم منها الطوارق خلال القرنين 15و16م.

ثانيا: نشأة ممالك الهوسا:

تذكر الروايات الشفوية للهوسا بأن الجد الاكبر لهذا الشعب هو الامير بيا جدة (وهو تحريف لاسم ابا يزيد)[1] الذي خرج من بغداد و اتجه غربا نحو كانم بورنو فزوجه ملك بورنو ابنته لكنه منعه

([1]) وهو مخلد بن كيداد صاحب الحمار الخرجي الثائر ضد الدولة الفاطمية (توفي سنة 947هـ).

من ان يتخذ حراسا، فخشي بياجده من الملك فهرب باتجاه الغرب، فوصل الى مكان كان اهله ممنوعين من الوصول الى الماء بسبب وجود ثعبان كبير يدعى سركي(تعني الرئيس بلغتهم) فقام بياجده بقتل هذا الثعبان و خلص اهل المدينة من شره، فكافأته ملكة تلك المدينة التي تدعى دورة بان تزوجته و اهدته جارية ايضا و لقد انجبت له الملكة دورة ولدا اسمه باوغري(Baogri) كما انجبت لهى الجارية طفلا اخر يدعى كاربوغاري(Karbogari) لو معناه فاتح المدن و سميت تلك المدينة ب داورا نسبة للملكة[1].

و لقد انجب ابن بياجده باوغري ستة اولاد ثلاثة ازواج توأم سميت عليهم المدن التي حكموها و هي:

1. كاتسينا :

كانت مملكة كاتسينا خلال القرنين الثالث عشر و الرابع عشر من المقاطعات المستقلة التي تتكلم لغة الهوسا[2] و اهمها مقاطعة (دوربي . تا . كوتشي)، و قد تطورت مقاطعة دوربي وتحولت الى مدينة مركزية بفضل حاكمها(السركي محمد كوراو) الذي حكم بين 1445 و 1495م، و يعد المؤسس الحقيقي للسلالة الحاكمة فيكاتسينا[3].

و لقد لاحظ السركي محمد كوراو موقع هذه المدينة الهام و الذي جعلها مركزا التقاءالطرق التجارية و يحتوي على منجم للحديد ، بالاضافة الى احتوائها على الضريح المقدس الذي يدعى

([1]) ديرك لانجي، ممالك التشاد و شعوبها، مقال ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، مج4، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1988، ص235.

([2]) **الهوسية** لغة الهوساوة، وهي لغة تشادية من العائلة الأفروآسيوية، تكتب بأحرف عربية. لغة الهاوسا وهي لغة تشادية تنتمي لعائلة اللغات الأفروآسيوية، والتي سبق وكتبت بحروف عربية يتحدث بها نحو 24 مليون شخص كلغة أولى، و 15 مليون كلغة ثانية، وأغلب متحدثيها موجودون في النيجر وشمال نيجيريا وغانا وتوجو وبنين بالإضافة إلى السودان وتشاد والكاميرون وبوركينا فاسو، وهي كلغة تستخدم بين متحدثى لغات أخرى في أغلبية أفريقيا الغربية، وخاصة بين المسلمين. والهاوسا لغة رسمية في شمال نيجيريا.

([3]) أدامو .م،الهوسا و جيرانهم بالسودان الاوسط، ضمن كتاب تاريخ افريقيا العام، مجلد 4، طبعة اليونسكو في المكتبة الكاثوليكية، بيروت،1988م، ص280.

"بوادة"، فقام ببناء مدينة محصنة بسور أسماها كتشينة، فبدأت هذه المدينة تستقطب التجار العابرين للصحراء و ازدهر بها العمران، و بدأت تستقطب المداخيل فزادت اموالها، و بدأ قادة الامارات و القبائل المجاورة للسركي يقدمون له اتاوات في شكل قضبان حديدية ، و بدأ السركي بقوم بغزوات لتوسيع رقعة دولته التي اصبحت مملكة كبيرة(1).

و كان السركي محمد كوراو ملكا مسلما دخل الاسلام في القرن الثامن الهجري/14م، على ايدي أحد علماء مالي(2)، و في عهده دخل المغيلي التلمساني الى كتسينا و في عهده تم بناء مسجد غوبير الكبير.و شملت غزوات محمد كوروا أقاليم خارج بلاد الهوسا،حيث شن حملات على كانوو على بلاد النوبة.

ثم خلفه السركي إبراهيم سورا(1495 . 1499م) وكان ملكا شديدا و متدينا صارما،كان يفرض على رعيته الصلاة و من لا يصلي كان يتعرض للسجن، كما كانت له مراسلات مع شيخ الازهر جلال الدين السيوطي، و خلفه من بعده الملك علي الملقب بالمرابط لشدة تحصينه للمدينة، و قد امتد عهده على غاية الربع الاول من القرن العاشر الهجري/16م ، بعد هذا التاريخ بدات الدولة تضعفالى ان سقطت على يد هجمات الفولاتا بقيادة عثمان دان فوديو عام 1807م.(3)

2 . مملكة زازو:

و تسمى ايضا (زارية) أو (زغزغ)، و لكن المعلومات حول هذه المملكة و نشأتها يبقى غامضا جدا، فالمعلوات الموجودة مبنية على تحليل بعض النصوص و هي تشير الى أن منطقة زازو هي عبارة عن سهل بأقصى جنوب بلاد الهوسا ظهرت به في اواخر القرن الثامن للهجرة/14م، بعض المراكز المدنية و التجمعات السكانية منظمة على شكل المدينة الدويلة. و مع مرور الوقت تمكنت مدينتان

---

(1) إمارات الهوسا الإسلامية فى شمالى نيجيريا، **عن مجلة منارة** الاسلام الالكترونية، في موقع الكتروني: http://www.islambeacon.com/index.php?title آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 23 أكتوبر 2015 الساعة 07.15 .

(2) محمد شاكر، التاريخ الاسلامي، الجزء 15، التاريخ المعاصر لغربي افريقيا، المكتب الاسلامي، بيروت، 1997م، ص275.

(3) Nehemia Levtzion, Randall Pouwels,The History of Islam in Africa, Ohio University Press, 31 mars 2000 .

منها و هما (تورنكو) و (كوفينا) من بسط سيادتهما على المدن الاخرى ، و لكن كل مدينة كانت مستقلة عن الاخرى.و في نهاية القرن 15م تمكن قائد تورنكو و هو (بكوا) من السيطرة على كوفينا وبالتالي استقر حكام زازو الذين يحكمون تورنكو و كوفينا معا في عاصمتهما التي اقاماها في شرق كوفينا وسميت زاريا و هو اسم بنت الملك بكوا، فاندماج تورنكو و كورفينا إذا هو الذي نتج عنه مملكة زازو(1).

و خلال القرن 16م بدأت مملكة زازو تقوم بحروب لتوسيع مملكتها غربا و جنوبا. و تقول الروايات التاريخية بأن جيش زازو كانت قوده الاميرة أمينة بنت بكوا و هي نفسها التي احاطت مدينتي زاريا وكوفينا بأسوار عريضة ، لكن رغم ذلك فإنها لم تصبح ملكة و بقيت أميرة و قائدة عسكرية وصاحبة نفوذ، و نالت هذه الاميرة شهرة كبيرة ، حيث تذكر الروايات أن أمير كانو "سيركي نوبي" أرسل إليها أربعين عبدا من الخصيان و عشرة آلاف جوزة كولا، وكانت اول من تحصلعلىالخصيان و الكولا في بلاد الهوسا، كما ازدهرت التجارة في عهدها و دخلت المنتوجات الغربية الى بلادها(2).

3 . سلطنة غوبر:

تقع هذه السلطة في اقصى جنوبي مملكة الهوسا، فهي تبدأ من منطقة أغاديس و تضم مرتفعات الآيرأيضا. و قد تعرض الغوبراويين الى ضغط الطوارق فدفعوهم نحو الجنوب خلال القرن 12م فتفرقوا الى مجموعتين : المجموعة الاولى استقرت في سهول آدار و سموا آدراوة، بينما هاجرت المجموعة الثانية نحو الجنوب و كانت تتكلم اللغة الهوسية و أصبحوا يسمون فيما بعد بالغبراوة، و اتخذوا من مدينة (برنين لالي) عاصمة لهم. و قد اكتشف الغبراوة الملح و كانوا أول من عرفه من الهوسيين فاشتهروا به، و عرفت علاقات تجارية هامة مع غاو(سنغاي) و انتعشت بها الصناعة و التجارة(3).

---

(1) أدامو .م،الهوسا و جيرانهم بالسودان الاوسط، نفس المرجع، 282.

(2) نفسه،ص282.

(3) أدامو،المصدر السابق،ص282.

4 . مملكة رانو:

وجدت هذه المملكة مع القرن15م، و كانت من قبل عبارة عن مقاطعة هوسية تسمى(زمغابا) وهي امارة مستقلة عن كانو، ثم قام ملك كانو ياجي بطرد قائدها من عاصمته، فذهب الى رانو واقام بها سنتين قبل أن يؤسس مملكة خاصة مستقلة[1].

5 . مملكة زمفرة:

قبل القرن 16م لم تكن زمفرة سوى مقاطعة صغيرة ببلاد الهوسا من بينها دوتسي، و قد ازدهرت بفضل وجود معدن الحديد و مراكز دينية ،فاجتمع زعماء زمفرة مع زعماء دوتسي و اخضعوا اليهم بقية المقاطعات ، ثم اتخذوا مدينة برنين عاصمة دامة للمملكة التي أصبحت تعرف بزمفرة في منتصف القرن 16م، و بدأت بشن حملات ضد مناطق مختلفة وصلت الى منطقة "ياوري" في حوض النيجر، و لكن يبدو ان حكام زمفرة لم يكن في نيتهم التوسع بقدر ما كانوا يرمون الى تدعيم دولتهم من خلال تثبيت أركانها، و تقويتها بين الممالك الهوسية الاخرى[2].

6 . مملكة كبي:

كانت تسكنها منذ القدم شعوبا تتكلم لغة الهوسا ، و تقول الروايات الشفوية أنهم ينحدرون من أم من كتسينة و من أم من سنغاي،و كانت البداية كبي تابعة لسنغاي تحكمها عشائريحملون لقب "مغاجي" أي خليفة ، لكن بعد ذلك بدأت تصلها هجرات هوسية ، و من هؤلاء المهاجرين رجل ينحدر من جنوب كتسينا يدعى محمد كنتا ، فاستطاع أن يزيح العشائر الغاجية المحلية وأصبح هو الحاكم الفعلي لاقليم كبي التابع لمملكة سنغاي. ثم التحق بجيش سنغاي برتبة (باردي) أي نقيب، و شارك في الحملة التي شنتها سنغاي على اغاديس و التي غنم فيها السنغاي أموالا كثيرة، إلا أنه لم يتحصل على الغنائم فغضب و تمرد على مملكة سنغاي و كان ذلك سنة 1516م، حيث دخل في حروب مع مملكة سنغاي و استطاع خلالها الحفاظ على استقلال كبي.

([1]) Dierk Lange, Ancient kingdoms of west Africa, African-centred and Canaanite-Israelite Perspectives ; a Collection of Published and Unpublished Studies in English and French, J.H.Röll Verlag, 2004,p 293.

([2]) أدامو، النرجع الستبق، ص283.

بعد ذلك اتخذ من سرامي عاصمة له و كون مدنا محصنة باسوار ، ثم أسس مدنا جديدة مثل (برنين لاكا) و (برنين كبي) ، و بعد أن وطد محمد كنتا نظامه الدفاعي اتجه نحو الخارج فاحتل منطقة اغاديس و اقتطعها من مملكة سنغاي، كما فتح بلاد الهوسا و جزء من بورنو[1].

و قداتبع كنتا نظاما لامركزيا اذ اكتفى باعتراف أي دولة بولائها لكبي و دفعها الجزية لها ليترك لها حرية التصرف داخليا و خارجيا. و لقد حاولت مملكة بورنو خلال القرن16م السيطرة على عليها لانزعاجها من وجود دولة هوسية قوية تجاورها لكن محاولاتها باءت بالفشل ، لكن محمد كونتا قُتل أثناء إحدى الحروب مع بورنو سنة 1556م.

و بعد وفاة محمد كونتا امتنعت دويلات الهوسا عن دفع الجزية لكبي و استقلت عنها، و حتى الملوك الذين خلفوا محمد كونتا أمثال أحمدو و ابنه البكر لم يعملوا على اجبار هذه الدويلات على دفع الجزية فتراجعت سيطرتهم على الاقاليم التي أخضعها محمدكونتا، فاتخذت المملكة تتقلص حتى فقدت أغاديس و أصبحت مجرد مملكة صغيرة[2].

7 . مملكة كانو:

تعد هذه المملكة أشهر ممالك الهوسا بسبب كثرة المعلومات المتوفرة عنها جراء الحوليات والروايات الشفوية. و كانت كانو في الاصل مملكة تضم عدة مقاطعات صغيرة تحكمها زعامات عشائرية، وكانت دالا (Dala) و سانتولو (Santolu) أهم هذه المقاطعات ، و تعاقبت على حكم مقاطعة دالا ست سلالات من الرؤساء الى أن جاء على رأسها باغودا الذي ظهر في أواخر القرن العاشر للميلاد 999م، و لقد عمل دالا على فرض سيطرته على جميع المقاطعات، و في عهد حفيده جيجماز الذي حكم بين(1349 ـ 1385م) ثم بسط نفوذ كانو على كل المنطقة رغم بعض الانتفاضات المتقطعة[3].

([1])Dierk Lange, Ancient kingdoms of west Africa, African-centred and Canaanite-Israelite Perspectives ; a Collection of Published and Unpublished Studies in English and French, J.H.Röll Verlag, 2004,p 286.

([2]) أدامو، المرجع السابق،ص282.

([3]) كاني(احمد محمد)، الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا، الزهراء للاعلام العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1987م، ص 51.

حيث غزا مقاطعة رانو التي أصبحت تقدم له الولاء رغم بقاءها كإمارة قائمة بذاتها ، ثم غزا مقاطعة سنتولو و خرّب مركزها الديني الذي كانت تقدم فيه القرابين . و لقد كان الملك ياجي مسلما لذلك قام هناك صراع بين حكام كانو المسلمين الذين سيطروا على البلاد و عامة الشعب الذين كانوا يحتفظون بدياناتهم التقليدية(1).

بعدها شنّ ياجي حملة على الجنوب فاصطدمت مملكة كانو بجيش الكوارفة (الجوكن) فرفض الكوارفة دفع الجزية لكانو لكنهم في الاخيرأهدوهم مائة عبد،و بعدها استمرت العلاقات بينهماعن طريق تبادلالخيل و العبيد. و رغم تواصل حملات كانو على جيرانهم في بحيرة تشاد إلا أن العلاقات التجارية مع كانم و بورنو انتعشت و انتشرت في بلادهم الخيول و الابل و الملح التي دخلت أرض الهوسا، كما انتشرت تجارة الكولا و الخصيان ، و ازداد تمسك ملوك كانو بالدين الاسلامي و انتشر الفقهاء المسلمين ، و حمل اليهم الفلاتة كتب الفقه و التوحيد(2).

و في اواخر القرن 15م وصل الى الحكم في مملكة كانو الملك محمد رمفة الذي قام بسلسلة من التجديدات منها إعادة بناء سور المدينة و أقام أبوابا جديدة ، و عين بعض الخصيان في مناصب عليا في الدولة ، و انشأ سوقا كبيرا هو سوق كرمي، و أسس مجلسا يضم تسعة من كبار الموظفين الذين يمثلون الوزارة أو الحكومة ، و أنشأ قصرا جديدا ، و أقام بيتا للحريم يضم ألف جارية(3).

و استمرت هذه السياسة في عهد خلفاء محمد رمفة لكنهم واجهوا قوة مملكة بورنو التي اخذ ملوكها يعتدون عليهم باستمرار لكنهم تمكنوا من الدفاع عن دولتهم.

---

(1) Robert Cornevin, Histoire des peuples de l'Afrique noire, Berger-Levrault, 1962,p321.

(2) كاني أحمد محمد، المرجع السابق، ص 51.

(3) أدامو، المرجع السابق، ص282.

ثانيا:حضارة ممالك الهوسا:

تذكر المصادر الهوسية بأن الاسلام يكون قد دخل الى المنطقة عن طريق الديولا خلال القرن الرابع عشر، ذ قدم هؤلاء التجار من مالي الى كانو في عهد الملك ياجي لكن على خلاف المصادر الهوسية فإن هناك عدة قرائن و دلائل تؤكد بأن الاسلام يمكن أن يكون قد وصل اليها منذ القرن 11م.

فالهوسا كانوا على اتصال مستمر بكانم بورنو قبلالقرن 14م، لذلك فإن التاثير الكانمي على الهوسا كان واضحا من خلال وجود عدة كلمات عربية ذات مدلول ديني اسلامي نقلها الكانوري (أهل كانم) الى اللغة الهوسية[1].

كما أن الروايات الشفوية تبين أن الاسلام كان قد دخل كانو قبل وصول التجار المالنكي اليها لكنه كان يقتصر على النخبة الحاكمة في الهوسا فقط بينما بقي عامة الشعب و في للمعتقدات الوثنية وحتى المسلمين من الهوسا فان معرفتهم بالاسلام كانت ضعيفة و سطحية ، و مع بداية القرن15م بدات بلاد الهوسا تعرف حركة علمية كبيرة و حركة دعوة قوية قام بها الونغارا و الفلاتة و علماء مناطق اخرى جالبين معهم كتب الفقه المالكي و التفسير و العقيدة و التوحيد و من اشهر هؤلاء العلماء نذكر محمد بن عبد الكريم المغيلي الذي قدم من تلمسان عبر توات ، و كان له دور كبير في بلاد الهوسا الى درجة ان بعض النصوص تقول بأن السركي (ملك كاتسينا) محمد كوراو اسلم على يديه ، كما راسل المغيلي ملك كانومحمد رمفا و شرح له طريقة الحكم الاسلامي[2].

و تبرز العديد من الوثائق بأن هناك عدة تجديدات طرأت على طريقة الحكم في كانو بعد مراسلة المغيلي مما يؤكد أخذ السركي محمد رمفا بنصائح العالم التلمساني . لكن يبدو أن محمد رمفا يكون

([1]) حول دور كانم في نشر الاسلام والثقافة العربية الاسلامية في بلاد الهوسا و افريقيا عموما، **أنظر**: محمد زين نورمحمد،منطقة حوض بحيرة تشادو دورها في نشر الثقافة العربية و الاسلامية، مجلة قراءات افريقية، مجلة ثقافية فصلية محكَّمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي العدد السابع عشر، رجب – رمضان 1434 هـ ، يوليو – سبتمبر 2013 ، ص ص12 و ما يليها.

([2])نفسه،ص 25.

قد أبقى على بعض الممارسات التي تخالف مبادىء الشريعة الاسلامية و بعض الممارسات الوثنية المخالفة للشرع.

و من الشخصيات التي ساهمت في دعم السنة النبوية و المبادىء الاسلامية بكانو نذكر منهم احمد بن عمر أقيت التنبكتي و هو جد احمد بابا التنبكتي ، حيث دخل الشيخ احمد الى كانو و درس فيها سنة1487م، ثم التحق به الشيخ عبد الرحمان سقين المغربي قادما من مصر و ذلك سنة 1504م، فقام هذان الرجلان بنشاط تعليمي كبير في كانو و كتسينا ، حيث حولا كانو الى مدينة اسلامية وقاما بقطع الاشجار المقدسة التي كانت ترمز للديانات القديمة. و في نفس الوقت دخل الاسلام الى ممالك هوسية اخرى مثل زاريا حيث كان ملكها السركي محمد رابو اول من اسلم من ملوكها، وكان السركي محمد كنتا اول من اسلم من ملوك كبي و تبعه بعض قادته[1].

و عموما فان انتشار الاسلام في ممالك الهوسا خلال هذه الفترة قد ارتبط خصوصا بالنخبة الحاكمة و بمجموعات التجار ، و بذلك فان تاثيره قد اقتصر على المدن الكبرى ، و حتى هؤلاء المسلمين ظلوا يعتقدون بقداسة الاضرحة و الاشجار و الصخور المقدسة و الارواح ، بحيث بقيت تلك التقاليد الوثنية جزءا من حياتهم اليومية ، و بقي الحال على ذلك حتى مع احفادهم بينما بقيت نخبة محدودة من العلماء و تلاميذتهم تجتهد في اتباع الشريعة و السنن بطريقة صارمة، اما سكان الارياف فقد بقوا على دينهم التقليدي يؤمنون بارواح الاجداد و غيرها[2].

1 . الاقتصاد في ممالك الهوسا:

أ.الزراعة:

رغم أن الشعب الهوسي كان تاجرا بالدرجة الاولى إلا أن الوقائع التاريخية تثبت بأن كل هوسي كان مزارعا أيضا لكن بدرجات متفاوتة ، و كانت الاراضي الزراعية عند الهوسا ملكية جماعية أي ملك للمجموعة و هي الدسكوة ومعناها القرية، و كان رئيس المجموعة يقوم بالاشراف على

([1]) كاني احمد محمد، المرجع السابق، ص52.

([2]) أدامو، المرجع السابق، ص282

استغلالها و لا يمكن بيعها ابدا، و يقوم الفلاحون باستغلال غلاتها حسب جهدهم، و لكن بامكان الغرباء عن المجموعة ان يستغلوا الارض اذا أذن لهم رئيس المجموعة، و مع مرور الوقت عندما تطورت صلاحيات السركي أصبح بمقدوره أن يقطع ارضا لاي شخص سواء من القرية او من خارجها م تصبح ملكية خاصة به[1].

و كان الفلاحون يلقبون ب(تلاكاو) و مفرده "تلاكا" و يخضعون كلهم لمسؤول حكومي هو (السركين بوما) أي رئيس الزراعات و هو المسؤول عن مراقبة بداية فصل الامطار و ضمان ما يقدم من ضرائب و من قرابين للآلهة لضمان محصول جيد[2].

و لقد وجدت ببلاد الهوسا ثلاثة انواع من المزارع هي:

. حقول الملك (الغندوم سركين) و هي ذات مساحات كبيرة.

. حقول الاسرة (الغندوم جيد) و هي متوسطة المساحة.

. الحقول الفردية (الغيونة) و هي ذات مساحات صغيرة عادة.

وكانت الغندوم سركين و هي حقول الملك كان يزرعها العبيد ، ففي عهد الملك عبد الله برجا (1438. 1452م) كان يملك آلاف العبيد الذين يستغلون اراضيه، و من المحاصيلالزراعية التي كان ينتجها الهوسيون نجد مختلف انوواع الذرة و الارز، بالاضافة الى زراعات تجارية كالقطن و النيلة[3].

ب . الصناعة:

كانت الصناعة اليدوية أو الحرف تحتل المرتبة الثانية بعد الزراعة في الاقتصاد الهوسي، و كانت صناعة النسيج تمثل اهم صناعة ، حيث كانوا ينسجون الثياب القطنية منذ وقت مبكر من تاريخهم، فكانوا يغزلون الصوف و يصنعون الخيوط و يصبغونها ثم ينسجونها محليا ببراعة و إتقان الى درجةان منسوجات الهوسا و اليوروبا كانت ذات شهرة ذائعة الصيتحيق كانت تقارن بمنسوجات مانشيتر

([1])Dierk Lange, Ancient kingdoms of west Africa,Op.Cit ,p282.

([2]) أدامو، المرجع السابق، ص285.

([3]) نفسه، ص285.

بريطانيا آنذاك، و كانت كانو مركز الصناعات النسيجية في بلاد الهوسا و كانت تنتج عدة انواع من القماش و اهمها القماش الاسود الذي يحبه الطوارق، و كان يباع في كل بلدان الساحل و حتى في المغرب الاقصحيث كانت النساء تستعمله كخمار لهن، كما كانت كانوا تنتج ايضا الحرير، و بهذا فان كانوا كانت قادرة على توفير القماش لثلث سكان السودان الغربي و الساحل [1].

و كان صانعوا الجلود و الاسكافيون في بلاد الهوسا يصنعون الخفاف ، و الاحذية، و الحقائب والاكياس و السروج و غيرها، و كانت مصنوعاتهم الجلدية تصدر الى بلاد السودان و الى افريقيا الشمالية[2].

أما الصناعات التعدينية فتاتي في مقدمتها صناعة الحديد التي تعد من أقدم الصناعات في بلاد الهوسا و كان الحدادون يحتلون مراكز اجتماعية هامة لكون الحديد كان المعدن الاكثر استعمالا عند السكان من خلال صناعة الادوات الخاصة بطقوسهم أو لصناعة الآلات الزراعية و أدوات الصيد الى درجة أنهم جعلوا إلها خاصا بالحديد. و كانت هذه الصناعة تتم محليا من خلال الافران التي كانوا يسمونها (مرمرة)[3].

كما انتشرت صناعة الفخار في كل أنحاء البلاد و شملت صناعة الاواني المنزلية و أواني حفظ السوائل و الحبوب. و كانت النشاطات الصناعية تدار و تسير من طرف نقابات على راس كل حرفة نقيب يعينه الملك باقتراح من أعضاء النقابة ، و كانت مهمتهم جمع الضرائب التي يؤديها الصناع، بالاضافة الى مراقبة طرق الانتاج و مقاييس الجودة و الاسعار[4].

([1]) John O. IGUE, Les villes précoloniales d'Afrique noire,KARTHALA Editions, 1 juin 2008,p189.

([2]) أدامو، نفس المرجع، ص 286.

([3]) John. O. IGUE, Les villes précoloniales,Op.Cit, p 189.

([4])John.O. Igue, Kengne Fodouop et Jérome Aloko-N'Guéssan, Maitrise de l'espace et developpement en Afrique,état de lieu, KARTHALA Editions, Paris,2010 , p52.

ج ـ التجارة:

كان الهوسا يمارسون التجارة في السوق و يسمى عندهم (كازوة)، و كانت الكازوة تضطلع بوظيفة السوق للمبادلات التجارية، كما احتضنت وظائف اخرى إذ تعد ملتقى للاحباب والاقارب، بالاضافة الى كونه مكان اتصال بالاجانب القادمين الى بلادهم . و كان المشرف على السوق يسمى (سركين كازوة) ، الذي كان يشرف على المحافظة على النظام العام في السوق، و يفض الخصومات بين التجار ، و يقوم بجبي الضرائب للملك سواء نقدا أو عينا، و يساعده في كل ذلك أعوان[1].

و لقد انقسمت طبقة التجار الى عدة اقسام هي:

1 ـ التجار المحليين و يعرفون ب(السينكي)و يقومون بالتجارة في المنتوجات الصناعية و الفلاحية ، ويتولاها المنتجون انفسهم، و هي تجارة محدودة جدا ، و تضم أيضا اللحوم و الحبوب و البقول.

2 ـ تجارة الجملة و تعرف عندهم ب(فاتوسي) و يقوم بها تجار محترفون(فاتاكي) يمارسون التجارة عبر المسافات البعيدة و القوافل العابرة للصحراء.

3 ـ التجار المتوسطون (يان كولي) و هم ينتقلون من سوق الى أخرى يبيعون و يشترون المنتجات الرخيصة أو يبيعون و يشترون من التجار المحترفون.

كما ان السمسار الذي يسمى عندهم (دلالي) يحتل وظيفة خاصة في كل الاسواق الهوسية ، حيث كان ملما بكل الاسعار و يمكنه توقع تقلباتها، حسب العرض و الطلب، و كانوا يلجؤون الى المضاربة للتحكم في الاسعار. و كان الدلالي يتلقون نسبة من الارباح نتيجة هذه الخدمات التي يقومون بها للمحافظة على على اسعار معينة[2].

هذا بالاضافة الى وجود محلات و دكاكين ، بما نفيها محلات و دكاكين خاصة بالنساء وجدت بالقرب من الاسواق و تشتغل فيها النساء انفسهن و هي خاصة بالمواد الغذائية عموما و المنتوجات القطنية.

---

(1) John.O. IGUE, Les villes précoloniales, Op.Cit, p65.

(2) Marc-Antoine Pérouse de Montclos, Villes et violence en Afrique noire, KARTHALA Editions, 2002,p232.

د ـ العملة:

لدينا معلومات نادرة جدا عن العملة التي كانت مستعملة في ممالك الهوسا، لكن المؤشرات تقول بان المعاملات كانت تتم بالمقايضة بالدرجة الاولى ، بالاضافة الى استعمالهم لمكعبات القماش، و قوقعات بيض النعام و المجوهرات الزرقاء و البيضاء و الحمراء التي كانت تستعمل بشكل منتشر جدا، بالاضافة الى التعامل ببعض السلع كالملح و العبيد[1].

و قد عرف الهوسيون الاصداف التي دخلت بلادهم منذ وقت مبكر ، و كانت هذه الاصداف أو الودع تعرف عندهم ب(فارين كودي) و معناها النقد الابيض . و لقد عُثر على شواهد تبين بأنها استعملت خلال القرن 18م بمملكة كاتسينا، و هي أصداف بحرية شديدة البياض. أما الذهب فكان يبادل بمقدار وزنه بالبضائع التي يجلبها التجار[2]

خلاصة:

تجدر الاشارة الى أن تجارة القوافل و تطورها كان بسبب الازدهار و الرفاهية التي عرفتها قصور وبلاطات ملوك الهوسا ، بالاضافة الى أنها كانت مصدرا لاقامة و تشييد تلك المنشآت العمرانية الواسعة، و كذا تلك الاصلاحات الادارية و السياسية و الدينية التي عرفتها ممالك الهوسا خلالا اواخر القرن 15 و بداية القرن16م.

كما أنه خلال القرن 16م و بعد سقوط امبراطورية سنغاي أصبحت الطرق التجارية المؤدية نحو الغرب غير مأمونة ، و هو ما حوّل بلاد الهوسا الى مركز تجاري لا مفر منه مع الشمال و الجنوب وخاصة من مملكة كتسينا التي اصبحت المحطة الاخيرة للقوافل العابرة للصحراء أكثر من اي وقت وأصبحت التجارة الصحراوية الشريان النابض لممالكها.

([1]) Giovanni Busino, Vilfredo Pareto, Monnaie et para-monnaie dans les sociétés non-industrielles : Etudes et travaux ,Librairie Droz, 1970, p76.
([2]) Ibid,p 76.

خاتمة الكتاب

لقد سعينا من خلال هذه المحاولة الى تقديم لبنة اولى و متواضعة في التعريف باهم و اقدم الممالك التي عرفتها افريقيا الغربية جنوب الصحراء ، حتى يتسنى لطلبتنا ان يرجعوا اليه في اعداد بحوثهم و توسيع مداركهم، صحيح أن هذه المحاولة جاءت مقتضبة و اتخذت الطابع الاخباري السردي البعيد عن التحليل و الطرح الاكاديمي و هذا تماشيا مع هدف الدراسة الذي كان استكشافيا و مسحيا.

لكنني يجب أن انوه باننا قمنا في نفس الوقت باعداد دراسات عمودية اكثر عمقا و تخصص لم تنشر بعد، و بالتالي ستكون في حالة نشرها متممة للهذه الدراسة، و مواصلة لهذا المشروع البحثي الذي يسعى الى تغطية العجز الذي تعانيه مكتباتنا في مجال الدراسات الافريقية،و تقديم وجهة نظرنا بخصوصا لقضايا الخاصة بتاريخ الممالك الافريقية.

كما استغل هذا الموقع لاتقدم بشكري للقائمين على مؤسسة الجزائري للنشر(Edition El Djazair) لاهتمامهم بهذه المواضيع ، و هو ما اثمر اصدار هذا العمل في شكله الحالي فلهم مني كل التقدير.

قائمة البيبليوغرافيا

أولا:المصادر و المراجع باللغة العربية:

- **ابن الأثير(المتوفي سنة630ه)**:الكامل في التاريخ.راجعه و حققه:محمد يوسف الدقاق.دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1407ه/1987م.

- **بن بطوطة(أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المتوفى سنة779ه)**:تحفة النظار و غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. (المعروف بالرحلة).دار صادر، بيروت ، لبنان، 1992م.

- **ابن حجر العسقلاني (المتوفى سنة852للهجرة)**: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. الجزء الأول، دار الجيل،بيروت،لبنان، 1414ه/1993م.

- **ابن حوقل(أبوالقاسم النصيبي)**: كتاب صورة الارض، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، 1996م.

- **ابن خلدون (عبد الرحمان) عاش بين 732 - 808هـ**: كتاب العبر. مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت، لبنان، 1421ه /2000م .

- **ابن الفقيه (أبو بكر أحمد بن محمد الهمذاني)**، كتاب البلدان، طبع في ليدن بمطبعة بريل،1309ه

- **ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى المغربي)**: كتاب الجغرافيا. تحقيق و تعليق:إسماعيل العربي، الطبعة الثانية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م

- **ابن الوردي(سراج الدين عمر)**:خريدة العجائب و فريدة الغرائب.مطبعة مصطفى البائي الحلبي و أولاده، مصر، 1341ه ./1922م.

الإدريسي (أبو عبد الله الشريف) توفي سنة: القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس ، مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق.تحقيق و تقديم و تعليق:إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، الطبعة الأولى، سنة 1982 .

- **البكري أبو عبيد الله)**، المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب. وهو جزء من الكتاب المعروف بالمسالك والممالك، طبعة دوسلان، ميزونوف، باريس1963 .

- **باري (محمد فاضل) وكريدية (سعيد إبراهيم)**، المسلمون في غرب إفريقيا، تاريخ وحضارة.دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،2007م،طبعة أولى.

ـ **بانيكار (ك.مادهو)**، الوثنية والإسلام . تاريخ الإمبراطوريات الزنجية في غرب إفريقيا. ترجمة:أحمد فؤاد بلبع، المجلس الأعلى للثقافة ،1998، طبعة2.

ـ **جوان جوزيف**: الإسلام في ممالك و إمبراطوريات إفريقيا السوداء. ترجمة: مختار السويفي، دار الكتاب المصري (القاهرة) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، الطبعة الأولى، 1404هـ/ 1984م.

ـ **الحموي(شهاب الدين ياقوت)**، معجم البلدان.مطبعة السعادة ، مصر، 1323هـ/1906م.

ـ **الدمشقي (شمس الدين)**، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر. طبعة ليبزيغ،1923 م .

ـ **دندش، عصمت عبداللطيف**، دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا(430و515هـ) /1038 و1121م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1408م/1988م.

ـ **الزهري(أبو بكر)**، كتاب الجغرافية، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، مصر، د. ت.

ـ **السعدي(عبد الرحمان)**: تاريخ السودان، طبعة هوداس، باريس 1981.

ـ **شاكر محمد** ، التاريخ الاسلامي،الجزء 15،التاريخ المعاصر لغربي افريقيا، المكتب الاسلامي، بيروت 1997م.

ـ **شعباني(نور الدين)**:علاقات ممالك السودان الغربي بدول المغرب الإسلامي وآثارها الحضارية.رسالة ماجستير في التاريخ الوسيط. جامعة الجزائر، السنة الجامعية:1427.1426هـ/ 20062005م.

ـ **العمري(أبن فضل الله)**، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار.تحقيق:حمزة أحمد عباس، المجمع الثقافي، أبو ضبي، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ/2002م، الجزء الرابع.

ـ **فيج (جون.د)**، تاريخ غرب إفريقيا.ترجمة و تعليق:السيد يوسف نصر، دار المعارف ، القاهرة ، طبعة أولى 1982.

ـ **كاني(احمد محمد)**، الجهاد الاسلامي في غرب افريقيا، الزهراء للاعلام العربي للطباعة و النشر، القاهرة، 1987م.

ـ **كعت محمود** ، تاريخ الفتاش في اخبار البلدان و الجيوش و أكابر الناس ، طبعة هوداس و دولافوس،المكتبة الامريكية و الشرقية، باريس، 1964م.

ـ **ليون الإفريقي (حسن بن محمد الوزان)**:وصف إفريقيا.ترجمة محمد حجي و محمد الأخضر، طبعة ثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،**1983**م.

ـ **مارمول كرفجال**، إفريقيا. ترجمة: محمد حجي، محمد زنيبر، محمد الأخضر، أحمد التوفيق، أحمد علون. مكتبة المعارف، 1404هـ/1984م، الجزء الأول.

- **مجموعة مؤلفين**، تاريخ افريقيا العام صادر عن اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، 1988 م .

- **محمد حسن(نبيلة)**، في تاريخ الحضارة الإسلامية. دار المعرفة الجامعية،مصر،د ت.

- **المسعودي(أبو الحسن علي بن الحسين)**،أخبار الزمان ومن أباده الحدثان و عجائب البلدان الغامر بالماء والعمران.دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت، لبنان، 1416هـ/1996م.

- **نياني (جبريل تمسير)**، مالي والتوسع الثاني للماندينغ. ضمن كتاب: تاريخ إفريقيا العام، صادر عن منظمة اليونسكو، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، لبنان، 1988م، المجلد الرابع

- **الطيب عبد الرحيم محمد الفلاتي**، الفلاتة في إفريقيا ومساهمتهم الإسلامية والتنموية. دار الكتاب الحديث، الكويت، طبعة أولى، 1415هـ /1994م

- **اليعقوبي(أحمد بن أبي يعقوب)**، تاريخ اليعقوبي.دار صادر، بيروت،1960، المجلد الأول.

ثانيا: المراجع باللغات الاجنبية:

-Adreas (W.Massing), The wangara, and old diaspora in West Africa. In revue : Cahier d'études Africaines, N°02, volume 40, année : 2000

-Abel (Holvelaque), Les nègres de l'Afrique sous équatoriale. Lecrosrier et Babé librairie éditeurs, Paris, 1889.

-Alhassane (Chérif) ,L'importance de la chez parole les Mandingues de la Guinée, Editions l'harmattan, Paris, 2005**.**

- Amadou (Bano Barry) : Les violences collectives en Afrique : Le L'harmattan, Paris, France, 2000.

-Amadou (Hampàté Bà) , Histoire du Sahel occidental Malien , Des origines à nos jours .Éditions ; Jamana, 1989.

-Baba (Kake) et Elika (M'bolo) : Histoire Générale de L'Afrique (L'ère des grands Empires), en Belgique,1979.

-Camara (Mamadou) , Parlons Malinké .Editions l'harmattanParis, 1999

-Cânâle (Jean Suret), L'Afrique Noire., 3eme édit, éditions sociales, Paris, 1968.

-Cornevin (Robert et Mariane), Histoire de l'Afrique (des origines à la deuxième guerre mondiale) 4ème édition, Editons : Petite bibliothèque Payot, Paris, 1964, p349.

-Cornevin Robert , Histoire des peuples de l'Afrique noire, Berger-Levrault, 1962

-Cuoq (joseph) : Histoire de L'islamisation de L'Afrique de L'ouest des origines à la Fin du XVIème Siècle, Librairie orientaliste Paul Gauthner, Paris, 1984.

-Cuello (Gabriel) et Robin (Loïc), Les Malinké de Kodugo. Publié par : L'harmattan éditions,Paris, 2005.

-Chavane (A.Bruno) , villages de l'Ancienne Tekrour. Editions Karthala, Paris, 1984 **.**

-Cissé (Youssouf Tata) : WAKAMISSOKO. La grande geste du Mali, de origines à la fondation de l'empire Editions : Karthala,(Paris2007.
-David Conrad ET Djanka Tassey: Sondjata: a West African epic of the Mande peoples, published by: Hachette publishing, Andianpolis, U SA 2004.
- Delafosse (Maurice) ,Essai manuel de la langue Mandé ou Mandingue. Ernest Leroux éditeur, Paris, 1901
-Delafosse (Maurice) , Haut Sénégal _ Niger. Les peuples, les langues, l'histoire, les civilisations. Emile larose libraire, Paris ; 1912, tome2.
-Devery (Muriel) , La guinée. Edition Karthala, Paris, 2009.
-Delafosse (Maurice) , Les noirs de l'Afrique. Editions Payot, Paris, 1941, p17.
-Dierk Lange, Ancient kingdoms of west Africa, African-centred and Canaanite-Israelite Perspectives ; a Collection of Published and Unpublished Studies in English and French, J.H.Röll Verlag, 2004
-Fage (J.D) , An introduction to the history of west Africa. Cambridge university press Edition, 1962.
-Froment(Alain) ,Le peuplement humain de la boucle du Niger. Editions de l'orstom, institut français de recherche scientifique pour le dévloppement en coperation, 1988.
-Giovanni Busino, Vilfredo Pareto, Monnaie et para-monnaie dans les sociétés non-industrielles : Etudes et travaux ,Librairie Droz, 1970
-Gouvernement général de l'Afrique occidentale française : Le soudan. Société d'éditions géographiques maritimes et coloniales, (Paris, 1931 .
-John O. IGUE, Les villes précoloniales d'Afrique noire, KARTHALA Editions, 1 juin 2008
-John.O. Igue, Kengne Fodouop et Jérome Aloko-N'Guéssan, Maitrise de l'espace et developpement en Afrique, état de lieu, KARTHALA Editions, Paris, 2010 .
-Labouret(Henri) : Histoire des noirs d'Afrique**.** Presses universitaires de France, Paris, 1950.
-Levtzion Nehemia, Randall Pouwels,The History of Islam in Africa, Ohio University Press, 31 mars 2000 .
-Lucie (Marc) , Le pays Mossi. Thèse de doctorat présentée à la faculté des lettres de l'université de Paris. Editions Emile larose libraire-éditeur, Paris, 1909.
-Mauny (Raymond) :Les siècles obscurs de l'Afrique noire, Librairie Fayard 1970
-Mauny(Raymond):Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen âge. Edition Ifan, Dakar, 1961.
-Mahmoud (Kati), Tarikh el fettach. Traduction Française par : O. Hodas et M. Delafosse, éditions, Ernest Leroux. Paris, 1913 .
-Mamadi Aissa,Traditions légendaires et historiques de l'Afrique occidentale, traduites d'un manuscrit Arabe enidit par :Maurice delafosse, Paris,1913.
-Majhemout(Diop) ,Histoire des classes sociales dans l'Afrique de l'ouest. Le Mali. Editions ,l'harmattan, Paris, 1985.
-Millet (Eric) et Maunaud (Jean Luc) , Mali, éditions Olizane, Genève, Suisse, 2ème édition, 2007.

-Monteil (Vincent) ,L'islam noir, une religion à la conquête de l'Afrique. Editions du seuil, France, 1980.
-Muhammad Zyhdi Yakan, Al manac of African peoples and nations. Editions: Transaction book, New Jersey, (united stats of America, 1995.
-Nambala(Kanté)et Erny(Pierre) , Forgerons d'Afrique noire. Transmission des savoirs traditionnels en pays Malinké. Éditions l'harmattan, Paris, 19930
-Niane djibril temsir, le soudan occidental au temps des grands empires au 11ème et 16ème siècle. Présence africaine, (Paris, 1975).
-Onyeka (Nwanunobi), Malinké,The Rosen publishing group, I N C,(New York, US A, 1980
-Pâques (Viviana) : Les Bambara Éditions l'Harmattan, (Paris, 2005).
-Pâques (Viviana) : L'épopée Bambara de Ségou, Recueillie et traduite par :Lyliane Kesteloot, avec la collaboration d'Amadou Traoré et Jean .Baptiste Traoré, éditions horizon, Paris, 2010
-Revue encyclopédique ,par une réunion de membre de l'institut, édite par : Sédillot, librairie,(Paris, octobre-décembre 1829 .
-Rouch(Jean) :Les songhay, Monographie ethnologique, Presse universitaire de France, Paris, 1954.
-(Sik andre) , Histoire de l'Afrique noire Budapest. , (Hongrie, 1962 ,2eme édition, tome 1. --
-Tauxier(L) , Le noir de Yatenga, (Mossi, Nioniosses, Samos, yarses, Silmi, mossis Peuls) Edit Emil Larose librairie editeur, Paris,1917.
-Trimingham(Spencer) ,Islam in west Africa. Oxford - university press oxford, New York, 1962
-Sory (Camara) , Gens de parole , Essai sur la condition et le rôle des griots dans la société Malinké. Editions Karthala, Paris, 1992
- Jacques Giri :Histoire économique du Sahel :Des empires à la colonisation, Karthala éditions, Paris, 1994.
-Tidiane (N'diaye) , La longue marche des peuples noirs. Edits : Publibook, Paris, 2007, p28.
-Rosa Amelia plumelle - Vribe : Traite des blancs traite des noirs : Aspects méconnus et conséquences actuelles. Editions l'harmattan, paris, 2008, p50.
-Valérie Thiers-Thiam :A chacun son griot :Le mythe du griot narrateur dans la littérature et le cinéma de l'Afrique de l'ouest. Editions l'harmattan, Paris, 2004 .
-Y.Urvoy. histoire de l'empire du Bornou, Librairie Larose, Paris, 1949.

ثالثا:المقالات و الدراسات باللغة العربية:

ـ آدم أديبايو سراج الدين،رؤية نقدية لكتاب تاريخ الماي ادريس و غزواته، للامام احمد برنوي، مجلة قراءات افريقية، عدد الثالث، ديسمبر2008م ، ص41 .
ـ علي يعقوب،الثقافة الاسلامية في مملكة بورنو الاسلامية، مجلة قراءات افريقية، مجلة ثقافية فصلية متخصصة في شؤون القارة الأفريقية، العدد الخامس،يونيو 2010م.

- إمارات الهوسا الإسلامية فى شمالى نيجيريا، **عن مجلة منارة** الاسلام الالكترونية، في موقع الكتروني:
http://www.islambeacon.com/index.php?title آخر تعديل لهذه الصفحة كان يوم 23 أكتوبر 2015 الساعة 07.15

- **سولوماني كانتي**. مذكرة تاريخ ماندي القديم و الحديث في الجانب اللغوي
in revue électronique , Copyright, N°C ; année1999-2000 ; édité par N'ko Institute. Site web : http://www.kanjamadi.com. Consulté le 04-01-2008

- **محمد زين نورمحمد**، منطقة حوض بحيرة تشادو دورها في نشر الثقافة العربية و الاسلامية، مجلة قراءات افريقية، مجلة ثقافية فصلية محكَّمة متخصصة في شؤون القارة الإفريقية تصدر عن المنتدى الإسلامي العدد السابع عشر رجب – رمضان 1434 هـ ، يوليو ـ سبتمبر 2013 .

رابعا: المقالات و الدراسات باللغة:

- Moussa Fofana ,Point d'histoire, le royaume de sosso Ou Kiniaga. in Site : http:// www.maliweb.net/catégory. Consulté le:30-07-2007.

-Cissé (Youssouf tata) : Notes sur les sociétés des chasseurs Malinké. Journal de la société des Africanistes .Tome 34, fascicule n°2, 1964, pp220 et 221.

-Madiega (Georges Yenouyaba) : Chronologie succincte de l'histoire du Burkina Faso (Ex Haute- volta). In site électronique: http://www.histoire-afrique.org/rubrique3.html. Consulté le : 28-09-200.

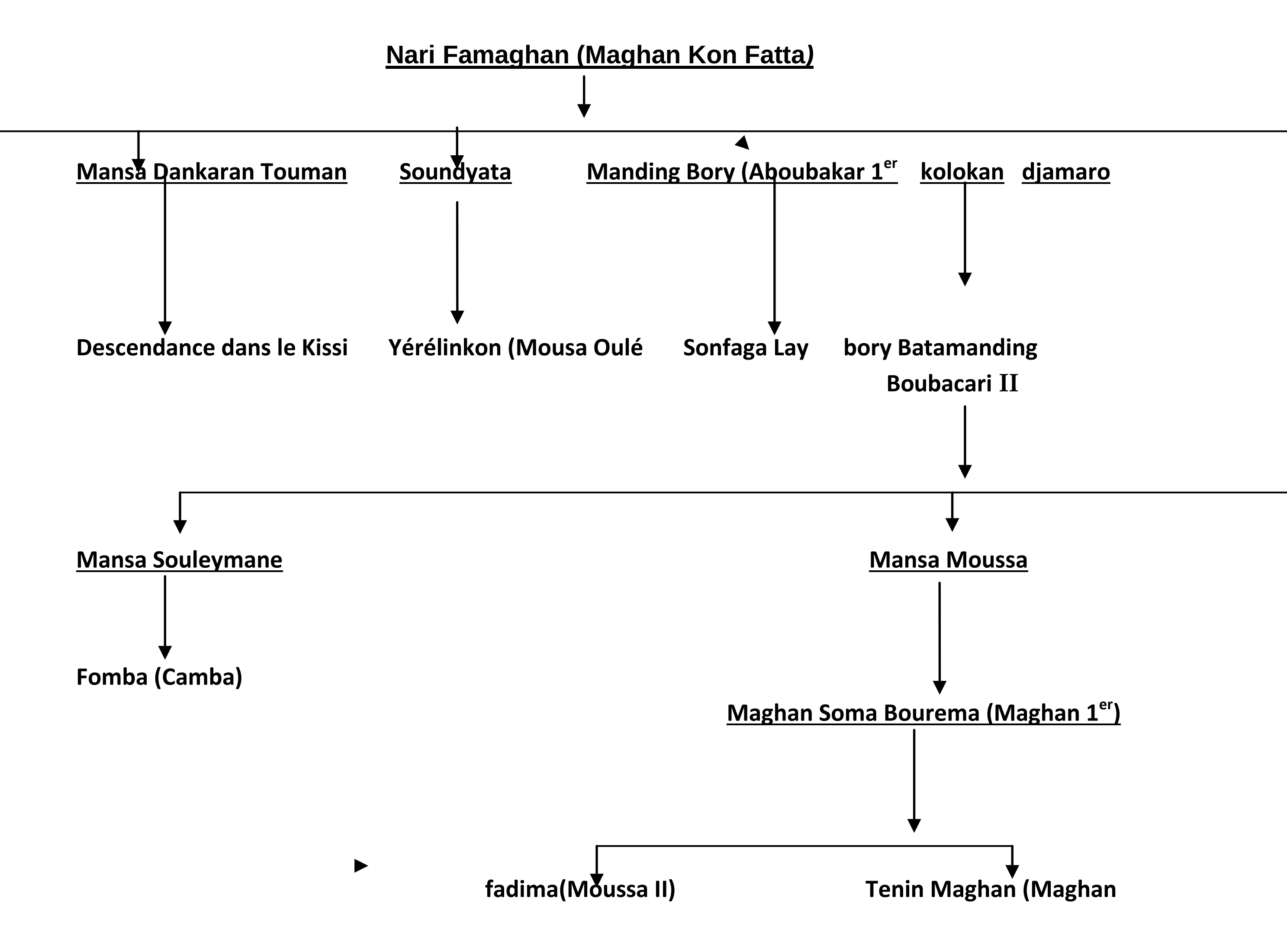
-Niane DjibrilTemsir, , Mise en place des populations de la haute guinée. In Revue éthiopique, (N°02, Avril, 1960

www.universalis.fr/ encyclopedie/N°1 30091/niger-fleuve.

الملاحق

ملحق رقم 01 :

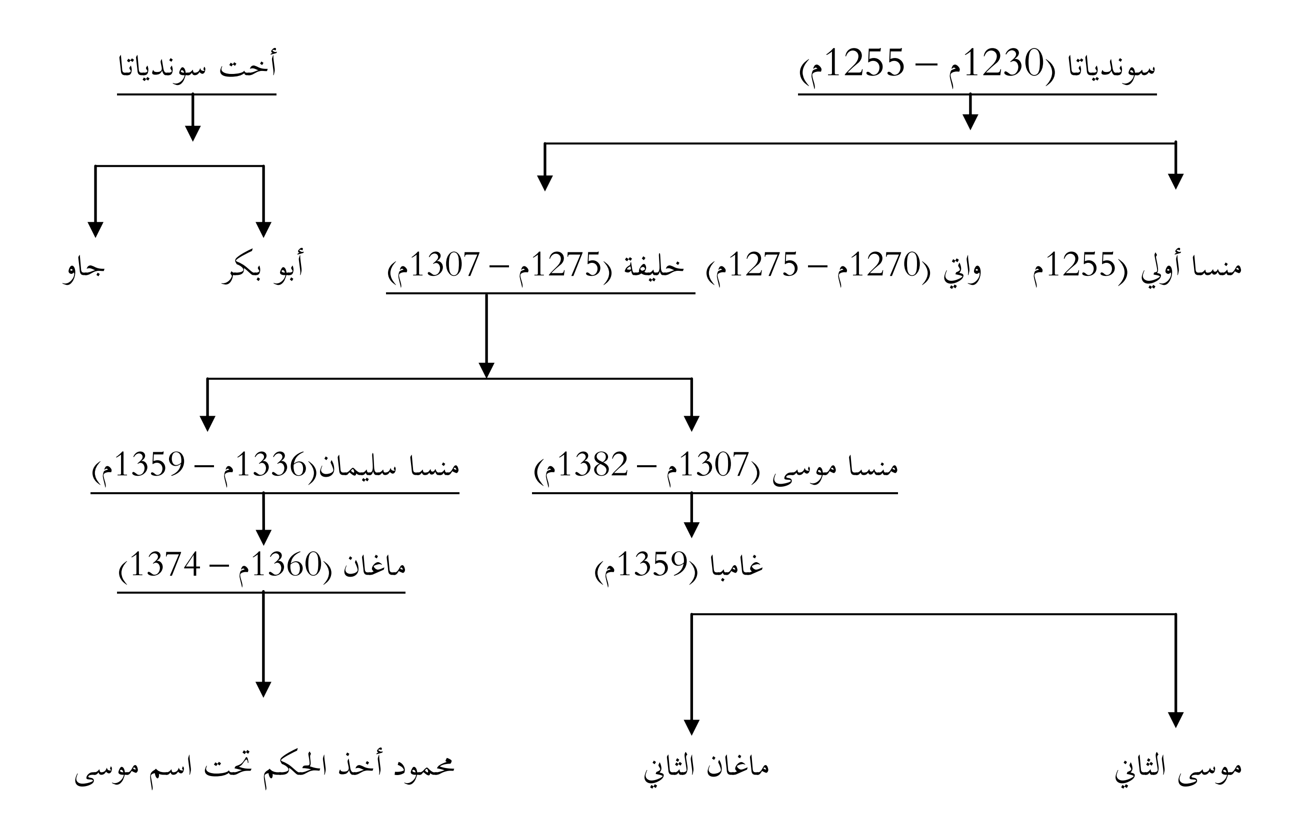
شجرة حكام مالي حسب الروايات الافريقية المحلية.

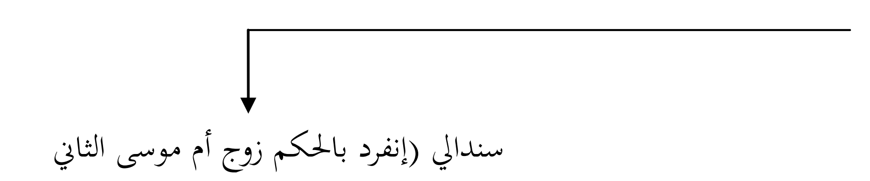


المرجع: Niane (Temsir Djibril) : Recherche sur l'empire du Mali, P 12

ملحق رقم 02:

شجرة حكام مالي حسب ابن خلدون

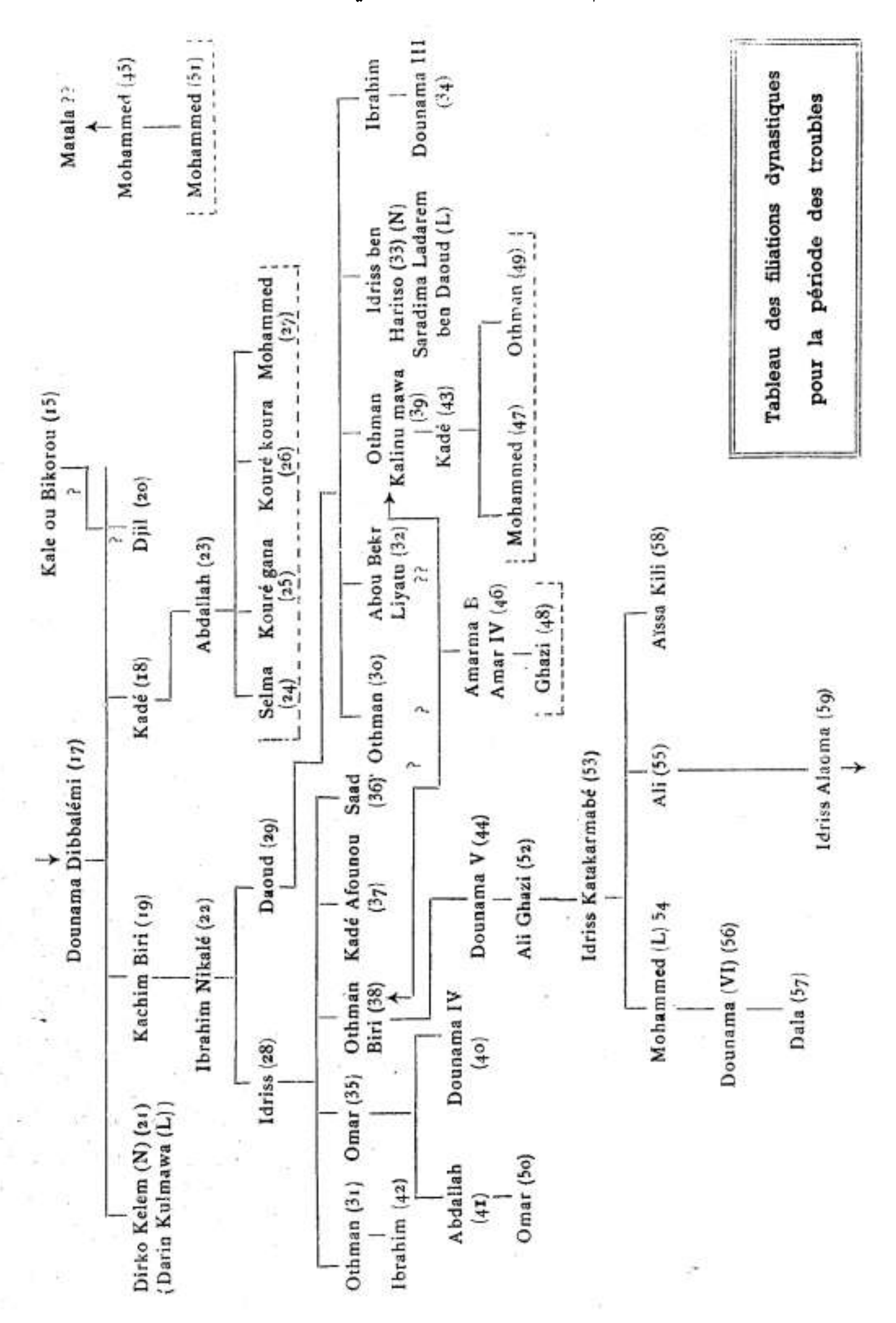




المصدر: ابن خلدون (عبد الرحمان) ، كتاب العبر، مج 6، ص2673

ملحق03:

قامة ملوك كانم بورنو الى غاية تو تولي ادريس الوما



الفهرس العام

Illustration couverture : Robert George Talbot Kelly ~ 1899 ~ The Flight of the Khalifa after His Defeat at the Battle of Omdurman, 1898 ~ National Museums Liverpool

Copyright Editions El-Djazair — Novembre 2015
13, rue des frères Boulahdour
16000 Alger-Algérie